

المشرق

بعض اديار مصر القديمة .

لمحضره الاب ميخائيل جويلان اليسوعي

قد اتفق لنا في اسفارنا في انحاء مصر ان نتعبد آثاراً عديدة وادياراً قديمة سكنها اقديسون من اهل النيك والزهد الذين عاشوا على طريقة القديس باخوميوس والقديس اظونيوس وادهشوا العالم بتقشفاتهم وفضائلهم . وهذه الاخرة لا يقصدها السياح لانهم لا يشاهدون فيها من فخامة البناء ودقيق الصناعة وغريها ما يشاهدونه في آثار الفراعنة والبطالسة . واما الوطنيون فلا يهتمون بهذه البقايا المسيحية ولعلمهم مجهولونها جهلاً تاماً وسنقتصر في مقالاتنا هذه على ذكر اهم هذه الاديار القديمة التي تستحق الاعتبار والنظر والتي لم يسبق لنا الكلام عنها من قبل مكتفين فقط بوصف ما رأيناه رأي العين وما سمعناه مما له علاقة بحياة القديسين الذين اقاموا فيها . ولا شيء احب لدينا من تدوين اعمال اولياء الله . ولنفتتح الكلام مبتدئين بالشمال

دبر القديسة دميانة

يرى المسافر شمالي المنصورة على طرف الارض المالحة والمستنقعات التي تنتهي بها مصر السفلى من ناحية البحر ديراً جليلاً يعتبره الاقباط اجلاً اعتباراً ويسمونه دير الست دميانة وهو نفس الدير الذي قضت فيه دميانة العذراء حياتها وهناك تم استشهاده في أيام الاضطهاد الذي اثاره على المسيحيين ديوقايسيانوس الملك . ويخرج الاقباط افواجا

الى هذا المقام من كافة انحاء مصر السفلى يوم ذكر تدشين الكنيسة في ١٠ ايار ولما كان السيد مكسيموس اسقف هرموبوليس الكبرى الكاثوليكي في الاسكندرية رغب يوماً ان يزور دير الست دميانة وهو عائد الى كرسىه في النيا فصحبته في سفره

فسرنا الى هذا الدير راكبين السكة الحديدية المنشأة حديثاً وهي توازي الساحل مارّة ببلدة بلقاس . وبلقاس على مسافة اثني عشر كيلومتراً من الست دميانة جنوبياً وكُنّا في اثناء السير نُقرّ العين بمشاهدة مدن عديدة كانت في سالف الاعصار مقاماتٍ للاساقفة كدمنهور المعروفة قديماً بهرموبوليس الصُغرى . ثمّ دسوق التي قربها كانت مدينة نوكراتيس عند قرية نبيده الحالية . ثمّ شبس الشهداء وهي كباسا (Cabasa) القديمة التي على اسمها سُقف قاصد مصر الرسولي شرقاً ثم سخا (Xoïs) احدى عواصم مصر في غابر الزمان . ثمّ آخرّاً بلقاس وكانت تُعرف باسم ديوسبوليس وهي بيناميس القديمة

وبلقاس قرية كبيرة عامرة وهي قصبة المركز المنسوب اليها الذي يُعدّ كاعظم مراكز مصر . فاستقبلنا « العمدة » واکرم وفادتنا وهياً لنا المطايا لتركب الى الدير قبل ان ينشر الليل لواءه

ولما جزنا القرية مردنا بالقرب من كنيسة للقبط الارثوذكس ذات قبابٍ عالية جميلة . ثم سرنا في وسط مزارع نضرة مجارين لترعةٍ من ترع الري . ثم مالت بنا الطريق الى اليمين وتغيّرت علينا المناظر فلاحات لنا سهول فسيحة ضوئة النبات قليلة الريع تحُدّها الاخاديد العميقة وتتخلّلها مجاري المياه . اما القرى في تلك البطاح فعبارة عن سور من الطين اشبه بحظيرة في ضمنه صفوف اكواخ حقيرة يسكنها عملة شركة زراعية تُدعى « شركة البحيرة » نسبةً الى مديرية البحيرة المجاورة للاسكندرية في غربها . وهذه الشركة قد ضمنّت مسافة ٤٢٠٠٠ هكتار من الارض البازرة لتستثمرها وتحسّن تربتها . وقد نالت هذه الشركة ارباحاً وافرة وهي تفضّل الطرائق الزراعية الاقتصادية المألوفة في مصر على اصول الفلاحة المستحدثة واختراعاتها المستجدة التي تقتضي في الغالب نفقات عظيمة ولعلّها لا تصلح لهذه البلاد

ومن آفات المزارع في هذه النواحي (اللهمّ ألا الأرز) ما يخالط التربة من الملح .

وقد حُفرت الجداول في وسطها ليجري اليها الماء العذب فيحُلل الملح واذا تحلَّل الملح صار ثقلاً اعظم فجري الى الاخاديد العميقة التي ذكرناها . وهي قني تُدعى مراكب (?) . وقد اتَّفَقَ مرورتا بكثير منها فوق معاير لا تصلح إلا لمرور الماء . وهذه المعاير تتألف من خشبتين دقيقتين عرضهما ٥٠ سنتيمتراً فوقهما شيء من الحشيش والمدر يُرى من خلالها الماء الجاري . واذا بلغت الدابة احد هذه المعاير الخطرة صاح بها الحمار : « رجلك » فاخذت حذرهما ومرّت على رسلها سالمة

ولما انتهينا من عبور هذه الحنادق وقع نظرنا على الدير فلاح لنا في وسط هذه الارض القفرة على هيئة تأخذ بمجامع القلب . وذلك انك ترى قبابه البيضاء تعلو سور الدير على شكل صومعة ذات طبقات متعدّدة . وكانت الشمس عند مغيبها توصل على هذه الابنية اشعتها الذهبية فتعكس صورتها على الأفق . ومن يراها عن بعد يخالها كنيسة روسية بدیعة الحسن نُقلت من صحاري الشمال الى بطانح الشرق النيرة . وهكذا كان وصفها لنا احد المهندسين المتولين سقي النيل لما علم اننا ناورون زيارتها فتحققنا صدق وصفه . ثم مشينا في سبخة لا يُرى فيها اثر الزراعة وانما تنبت فيها بعض اعشاب رمداء كما في السواحل الى ان بلغنا الدير فاذا هو بناء مربع تكسیر جوانبه سُتون متراً على التقريب . وبابه الى الشرق يقوم بجراسته كثير من الخدم

فلما دخلنا ارسلنا الى الرئيس كتاب وصاة كان اصحبنا به خوري القبط الارثوذكس في المنصورة . فما لبث الانبا بطرس ان ترل ليستقبلنا واحتفى بنا مرحباً قبل ان يسبر غورنا . وكان سيادة المطران مكسيموس قد ترع خاتمه واخفى صليبه ليبقى بصفة كاهن بلدي مجهول اما انا فكنتُ على هيئة سانح افرنجي

وكان هذا الرئيس ربة قصير القامة في مقتبل العمر له لحية خفيفة لطيف الطباع كثير الموانسة . وفي الدير ثلاثة كهنة اعزاب ينتسبون الى رهبان القديس انطونيوس الا انه ليس ثمة اثر للقانون الرهباني ولعلهم قضاوا مدة في احد اديار نظرون او الاسقيط وليس شيء آخر يفرق بينهم وبين بقية الكهنة الارثوذكسين . ولما اجتمعنا بهم اصعد لي احدهم انه يعرفني وانه لقيني قبل بضع سنوات في اورشليم . فتذكرت اذ ذاك انني كنت يوماً في القدس اتجول على جبل الزيتون قريباً من الابنية الروسية التي هنالك اذ لقيني كاهن ظننته من الحبش فكاشفني عن رغبته في اتباع العقائد الكاثوليكية

وكان رؤساءه وقفوا على نيّاته فنفوه بعد ذلك الى دير الست دميانة ليحيد عن فكره بالاهتداء ولئلا يعود يجتمع بكاهن كاثوليكي.

ثم طلبنا الى الرئيس بان يفيدنا شيئاً عن تاريخ هذا الدير فعمد الى كرّاس مخطوط على جدولين قبطنيّ فعربيّ يتضمّن قصّة القديسة « دميانة » ومنهم من يروي « جمانة » . والكرّاس عبارة عن خمس عشرة صفحة مزّين بنقوش غير محكمة التنسيق ولا اظنّه يتجاوز ما وراء القرن السادس عشر . مؤلفه يوحنا اسقف بّولس يقول في مقدّمته انه حظي بهذه الترجمة المكتوبة بخط القديس يُسطوس صاحب تراجم كثير من الشهداء الذين قُتلوا في سبيل الايمان على عهد ديوقليسيانوس . واليك خلاصة حياة القديسة دميانة

كان ابو الشهيدة يُدعى مرقس وكان والياً على مدينة صفران التي موقعها قريباً من الدير في جنوبه الشرقي . ولما بلغت دميانة سنّ الزواج اراد ابوها تزويجها امّا الفتاة فابت قائله : « كلاً ان عروسي هو السيد المسيح . لكنني ارغب اليك ان تبني لي ديراً انقطع فيه مدّة حياتي الى خدمة الله وحده » . فلم ير ابوها بداً من اجابة طلبتها وابنتى لها ديراً في مكان الدير الحالي فسكنته دميانة مع اربعين من العذارى اللواتي زهدن على مثالها بالدنيا وشاطرنها نصيبها في خدمته تعالى

ثم بلغ ديوقليسيانوس خبرها فبذل غاية جهده ليستميل اباهما الى عبادة الالوثان وما زال يفرّيه بالوعد والوعيد حتى نال منه مبتغاه ورقاه جزاء لكفره الى رتبة الولاية على فرامة وكانت مدينة كبيرة على جوار بلوزة

امّا دميانة فاشجأها الامر اي شجاً ومن وقتها لحقت بابيها ولم تزل تتوسل اليه حتى اتاب الى الله واضمرت قلبه ندامة على فعله . لكن الامبراطور استشاط عليه غضباً وامر بقطع راسه ثم اوفد فرقة من الجند الى وادي قيزبان حيث كان دير دميانة فاتهمكروا حماه ونكّلوا بالقديسة دميانة تنكيلاً ثم القوها في سجن مظلم حيث تراءى لها الملاك ميخائيل فابراها من جراحاتها . الا ان الجلاّدين عادوا الى عذابها وعذاب رفيقاتها وقطعوا آخر رزوسهنّ وذلك في ١٣ من شهر طوبه (٢١ ك ٢)

وفي الكرّاس الذي لخصته اقايص عديدة وتفاصيل خياليّة غريبة زادها الكاتب على مألوف عادة الاقباط . وقد طُبعت حديثاً ترجمة هذا الكتاب العربيّة في القاهرة بهنّة وكيل اوقاف مطران القدس

وكان الليل في اثناء ذلك بسط اجنحته. اذ جاء ثلاثة من اصحاب تقويم
الاملاك وطلبوا في الدير محلاً يأوون اليه فاضطجعوا تحت الرواق الذي كنا فيه
نتجاذب اطراف الحديث ملتحنين باغظيتهم فلم نحب ان نزعمهم واوينا نحن ايضاً
الى الفراش مؤجلين زيارة الدير الى غدٍ

وكانت زيارتنا الاولى في صباح اليوم التالي لكنيسة الدير. وعلى بابها كتابة
قبطية تفيدنا ان السيد باسيليوس مطران القدس على الاقباط رَمَمَ الكنيسة والدير في
سنة ١٦٠٣ للشهداء الموافقة للسنة ١٨٨٧ المسيحية. والدير تحت حكم هذا الاسقف
الذي تمتد ابرشيته على قسم كبير من مصر السفلى

واذا تجاوزت الباب دخلت في بناء فخم مستدير يدهش الابصار وفي صحنه قبر
القديسة الشهيدة ورفيقاتها الاربعين تعلوه قبة باسقة تقوم على اربع دعائم وكل دعامة
عبارة عن اربعة اعمدة ضُمَّت الى بعضها وحول هذه الدعائم سوق واسع على شكل
الحلقة. اما القبر فهو شبيه بدكة مربعة علوها نحو متر وجوانبها اربعة امتار وعلى هذه
الدكة صورة صليب عريض ثاقب. وقد طلي القبر كله بدهون على شبه الرخام. وفي جهة
الغرب هيكل يستند الى المشهد. وبازائه من جهة الشرق معبد يُعتبر كمدخل للكنيسة
الكبرى التي هي قديمة العهد لكنّها غليظة البناء ليس فيها اثر يذكر اللهم الا اخشابها
الشبكة ذات المربعات الدقيقة الصنع الممزجة بالعاج ومثلها كثير في كنائس الاقباط
العتيقة

اما بقية الدير فلم نَرِ فيه ما يستلفت النظر فأنه يتألف من مجموع غرف غير
مُسَمَّعة وقاعات عمومية وباحات وسلام ألحق بعضها بالبعض بلا نظام ولا هندام في
ازمنة متباعدة على مقتضى حاجة رهبان كل عصر. لكنّه لا ينقصه شيء من لوازم
العاش والمثانة ولو حاصره عدو لا استطاع سكّانه ان يصبروا على الحصار أياماً ريثما يأتيهم
الدد من الخارج. ولدير املاك تبلغ سعتها ١٢٧ هكتاراً وترتبتها جيّدة تكفي غلاتها
لعاش الرهبان واصلاح ما خرب من ابنيته

وقد لحظنا في هذا الدير من النظام وسعة العيش والسكينة ما كان لنا اقوى
دليل على حسن ادارة رئيسه الانبا بطرس وثقة رؤوسيه به
ومن سطوح الدير تمتد النظر شمالاً الى سهول قفيرة غبراء تنتهي بكشبان من الرمل

وراءها البحر وليس هناك ما ينبئ بوجود البشر إلا بيت حقير فوق رابية يَأوي اليه
 ناطور الشواطئ ومياه تُرع شبيهة بالنضار تجري فيها قوارب صغيرة وكذلك بعض
 قطعان من الغنم السود تسرح في تلك الفيا في . امّا جهتا الشرق والغرب فلا تَمَيّر العين في
 آفاقهما سوى خطوط قائمة يَحْتِم فوقها سحابة تدلّ على قرى تحجبها غابات النخل
 وكان رجوعنا الى القاهرة في مساء ذلك النهار على طريق المنصورة وطنطا في
 السكّة الحديدية التي تسير في وسط بقاع لا يشاكلها غيرها في مصر زكاء وخصباً

٢

مدينة البهنساء

من المدن القديمة الشهيرة بالآثار مدينة البهنساء وكان اسمها في غابر الاعصار
 أُكْسِرِنكوس (Oxyrrhincus) وهو اسم سمكة تُعرف اليوم في مصر بالقنومة
 (mormyrus oxyrrhincus) ودُعيت البهنساء بذلك لان اهلها كانوا يعبدون هذه
 السمكة كما كان يعبد الكلاب اهل كينوبوليس وهي مدينة كانت قائمة بازاء البهنساء
 على ضفة النيل تُعرف اليوم بشيخ فضل . وحدث في احدى السنين ان اهل
 كينوبوليس اصطادوا سمك القنومة فاكلوه فاغتاظ اهل البهنساء واكلوا لحم الكلاب
 انتقاماً منهم فنشبت لذلك حرب بين المدينتين لم يَحمد سعيها الا بتوسط الجنود
 الرومانيين الذين فصلوا بين الفريقين

ثم لاحت انوار النصرانية في مصر وكان اهل مدينة البهنساء ممن اكتحلوا منذ
 القرون الاولى بدين المسيح ونبذوا شتاعات الوثنية وامتازوا بعد حين بقداسة السيرة
 وزهد كثير من منهم بالدنيا حتى صارت البهنساء تُعد كمدينة الزهاد والرهبان
 ولنا على ذلك شهادة صريحة في الفصل الخامس من كتاب روفين (Rufin)
 الممنون تاريخ الرهبان (١) فان هذا الكاتب الشهير قدم في اواخر القرن الرابع للمسيح
 ومعه القديسة ميلانية وزار البهنساء فوجد فيها عشرة آلاف راهب وعشرين الف
 راهبة عذراء . وقال ما تعريه :

« وبلغنا احدى مدن الصيد حيث وجدنا الدين زاهراً اي ازدهار حتى اننا لو اردنا بيان الحقيقة
 كلها لنسبنا القراء الى المبالغة فان المدينة تفص بالرهبان وفي ظهرايتها عدد لا يحصى من الاديار

وقد حوّل الجمهور الابنية المموية ومبازل الاوثنان الى مساكن ياوي البها النساك. ومدد الادبار في هذه المدينة ينف على عدد بيوتها. وهي تحتوي على اثنتي عشرة كنيسة عموية فضلاً عما لكل دير من المعابد الخاصة. هذا وان ابواب المدينة وابراجها واسوارها وكل خلواها قد اصبت ملاجئ لاذ جا الرهبان قترام يقيمون فيها ليلاً مع خار وهم يسبحون الله ويمجدونه بحيث تحب ان المدينة كلها كنيسة واحدة. ولو اراد الاسقف ان يقيم الصلاة في ساحات البلد لكان ذلك كما في الكنيسة لان سكانها كلهم من الكاثوليك ليس بينهم وثني ولا مبتدع. وقد اقام الوجوه والاعيان بينهم رجالاً على ابواب المدينة لينبؤهم بقدوم الغرباء والفقراء ليرموا الى دعوتهم الى بيوتهم ويتحفوا بهم ويقضوا حاجاتهم . . . »

وقد دون التاريخ اسماء بعض القديسين الذين اشتهروا في البهنساء . منهم سنوثوس اوشوده (١) الذي استشهد على عهد ديوقلسيانوس . والقطب يذكر انه في ١٤ برمات (٢٤ اذار) . ومنهم الاسقف تاودورس او تاذرس احد مقاومي الشيعة اللوسيفرية . والاسقف أبني جامع اقوال الآباء (٢) . وكان هذا في اول امره ناسكاً كثير التقشف والامانة . فلما صار اسقفاً رأى نفسه عاجزاً عن مواصلة تلك العيشة الشظفة فشكا امره الى الله بقوله : « اللهم اكون حرمتي نعمتك بسبب الاسقفية » . فاجابه الرب : « كلاً لم تفقد نعمتي . وانما كنت عينك بذاتي على ممارسة اعمال التوبة لما كنت في عزلة عن البشر . اما اليوم وقد صرت في وسط العالم فان الناس يتولون ترويضك في سبل الفضيلة »

ومع ما كانت عليه البهنساء من الدين والتقوى تمكن الشيطان خزاه الله من زرع بذور الشقاق في وسطها . وقد انتصر بعض اساقفتها للملاطوس بطريرك انطاكية وتبعوه في ضلاله (٣) وكذلك البدعة يعقوبية فأنها نالت من اهلها واضلّتهم سواء السبل

والبهنساء في أيامنا عبارة عن قرية متوسطة في الكبر موقعها على الضفة الغربية من ترعة بحر يوسف بازاء محطّة بني مزار بين المنيا وبني سويف على بُعد متساوٍ منهما ولما لم اجد احداً من معارفي تعهد البهنساء ونواحيها صمّمت العزم على زيارتها

(١) راجع تراجم الابا الفصل الخامس

(٢) قد نشر هذا الكتاب باللاتينية واليونانية جمّة كونتارديوس

(٣) راجع الشرق المسيحي للوكيان

مع احد الرهبان من جمعيتنا وسلمنا امرنا الى شيخ الحمادين في بني مزار ليقودنا الى تلك الجهات وكان بعض الركاب اجتمعنا به في القطار وصاهُ بنا وعظّمنا عنده زاعماً اننا من اصحاب المراتب السنية

فكان مسيرنا الى جهة الغرب على طريق زراعية لاجبة . وبعد ان قطعنا خطين من السكك الحديدية أنشأنا هناك لنقل قصب السكر لعمل مفاغة عبرنا اربع ترع من ترع السقي فبلغ بنا المسير بعد ساعة ونصف الى قرية اشروبة وعندها آخر الطريق . ومن ثم مشينا في مسالك ضيقة تتخلل الحقول أدت بنا في اقل من ساعة الى قرية كبيرة تدعى سندافة وهي بازاا البهنساء ليس بينهما سوى ترعة بحر يوسف

فسار بنا المكاري تواء الى بيت العمدة وادخلنا ديوانه دون تكلفة . وكان شيخ الضيقة جالساً وحوله بعض الفلاحين يقضي بينهم ويحل مشكلاتهم . فلما رأنا القوم تعجبوا اولاً من زينا الاورتي وهم لم يعهدوا مثل ذلك سابقاً . لكن شيخ الحمادين ازال اندهاشهم ووصفنا لهم باحسن الصفات واعظم الاقارب . فقام العمدة من فوره واخذ يباليغ في اكرامنا وامر بان تُمدّ ذهبته لركوبنا ولم يرض ان نجتاز التربة على ذورق بسيط ثم فوّض الى ستة من رجاله ان يُرونا في البهنساء كل ما نحب تفقده

فقطعنا التربة وعرضها في هذا المكان كعرض نهر ثم ولجنا طريدة من البساتين لقينا وراءها حرقاً من الرمال القاحلة في وسطه جدران ماثلة ومناور متداية وقبور مقببة استولى عليها الحراب . وترى غربي ذلك الفضاء أنجاد الصحراء اللينة قد تواصلت بها الرمال فطفت قسماً من آكامها الصخرية . وان حوّلت النظر الى الشمال رأيت كشباتاً من الرمل تتمثل فوقها اسوار البهنساء وبروجها ومناورها . ففي هذا القاع وفوق تلك الرثي كانت مدينة أكبر نكوس او البهنساء القديمة . والحق يُقال ان النساء الاقدمين لم يكنوا ليجدوا مقاماً احق بهن واولى بتناسكهن وتعبدهن لما في ذلك القعر من اسباب العزلة ودواعي التشك مع سعة وقربه من المياه والمزدريات . فمن شاهد المكان لا يشك في ان جماعة من الرهبان تبلغ عشرين بل ثلاثين الف راهب امكنها ان تعيش فيه عيشاً هنيئاً في السكينة والسلام

ثم رقبنا هناك ربوة يرى فوقها عمود من الصوان مائل وهو من بقايا احدى كنائس البلدة فاشفينا على البطحاء كلها وكانت العين تميز في الجنب الغربي مقبرة

الاقباط وقبورها المكسّسة التي تشبه عن بعد قطعاً من الغنم . وفي الجهة الغربية يرى الناظر في السلسلة الليئة شعباً يؤدي الى واح البحرية المعروف ايضاً بواح البهنساء . امّا القبة والجدران المتداعية التي كانت ترى في تلك الجهة على مسافة نحو نصف الساعة فهي بقايا دير قديم كان يُعرف بدير السبع البنات . وفي تاريخ ترجمتهنّ أنّ احد الفجار حاول ان يقتصهنّ فالتجّن الى الله فارسل ملاكاً نقلهنّ الى هذا المكان فابتنين لهنّ ديراً وعشنّ فيه عيشةً صالحة . وكُنّا نرى ايضاً اطلاقاً دارسةً زعم الدليل أنّها آثار كنائس قديمة والامر ليس بمستبعد وقد افادنا المقرئ في كتاب الخطط ان عدد كنائس البهنساء كان يبلغ سابقاً ٣٦٠ كنيسة . والشيخ ابو صالح الارمني من كتبة القرن الثاني عشر قد عدد خمس عشرة كنيسة في البهنساء في زمانه (١)

ثم تابعنا مسيرتنا الى الشمال فسرنا مدّة ثلث الساعة في مدافن يُنزل اليها بأبار محكمة البناء عمقها ثلاثة او اربعة امتار . وقد استخرج منها اهل العاديات اجساماً مخنّطة بقي في الرمل كثيرٌ من آثارها كلفائفها وعصائبها وقلائدها واسوارها فيها خرز من السّجّ او الزجاج . وشاهدنا بين هذه البقايا المتخّطة عدداً وافراً من الآنية الخزفية وهي مقعّرة على شكل البواتق وفي قعرها قطع ملح متبلورة مشوبة بمادّة ربداء . ولعلّ هذه الآنية كان قداماء البهنسيين في أيام عبادتهم السمكة ثنومة يتخذونها ليجعلوا فيها موميا معبودهم مخنّطة بالنظرون

واخبر الثقة انه قبل زيارتنا للبهنساء بنحو سنة كان قد اتاها باحثان انكليزيان احدهما المستر هنت والآخر الجنرال غرنفل فحفروا في بعض الامكنة واستخرجوا منها سرّاً عاديّات كثيرة اودعوها في ٢٨٠ صندوقاً وحملوها سِتّة عشر جملاً وكان في جمّة هذه العاديّات اوراق من البردي او البايير وجدوها في حفرة غربيّ الضيعة

وقد اذاعت المجلّات العلمية خبر هذه الكتابات ووصفها المشرق في سنته الاولى (ص ٣٣٢ و ٥٧٩) وذكر أنّ في جملتها قطعاً من مجموع اقوال الربّ (Λόγια) للقديس پاپياس تلميذ الرسول يوحنا الحبيب (٢) وهي مكتوبة بخط يوناني غليظ

(١) راجع خطط المقرئ (ج ٢ ص ٥١٨) وتاريخ ابي صالح طبعة اكسفرد (ص ٩٣ و

(٢) راجع مجموع الآباء اليونان لمن (ج ٢٠ ص ٣٠٠)

يُظن انه يرتقي الى القرن الثاني عشر او الثالث عشر
وفي هذا المكان اطلال عديدة لكنائس واديار قديمة تُرى خصوصاً شمالي القرية
منها جدران وعقود واعمد صوّان أكثرها غائص في الرمل . ولحظنا فوق ربوة سبع
دعائم مصفوفة كأنها مهيأة ليُجعل فوقها اعمدة لكنيسة . وقيل لنا ان النساء الجبالي من
كل الاديان يأتين ويصلين في هذا المكان فيتلن النجاة
وبعد تجولنا بين هذه الاخيرة وصلنا اخيراً الى قرية الهنساء الحالية . ومعنى
الهنساء في القبطية « الزواج » . قال الشيخ ابو صالح (ص ٩٤) وسبب تسميتها
لأنها « بنيت لجوار من بنات الملوك عذارى تزوجوا (كذا) لابناء الملوك من هذه
المدينة »

ومن آثار البلدة الحالية الجامع المعروف بالملقى وهو محكم البناء جميل الهندسة
في سقفه قشوش بديعة بالالوان والذهب . وحول الجامع غرف وابنية حسنة لاحقة به .
وفي الايوان عمود من الصوّان الوردي عليه كتابة يستفاد منها ان السيد الشريف
الحاج مصطفى جدّد بناء هذا الجامع . وفي كتابة أخرى تاريخ البناء وذلك سنة
١٠٩٢ للهجرة (١٦٨١ م)

وبينا كنّا نعتبر هذا الاثر الجليل من الهندسة العريضة ونبحث عن خواصه اذ
سمعنا جلبة وراعاة . فالتفتنا واذا بعُندة الهنساء ومعهُ اهل الضيعة وهو ينتهر من
رافقتنا من اهل سندقة ويخاصمهم لأنهم ادخلوا اتاساً غرباء الى الهنساء . دون رخصته .
وكان الفريقان في عياطٍ ومياط فحظنا ان يحصل بسببنا ضرر لوقتتنا ورأينا من الصواب
ان نسرع عائدين الى سندقة لقصّ جناح الفتنة . الا أننا تمكنا قبل خروجنا من زيارة
جامع آخر كان الاهلون يشتغلون في ترميمه . وهو جامع الحسن بن صالح . وجدنا فيه
اخشاباً جميلة النقش بديعة الصنع ترتقي الى زمن الدولة الفاطمية . امّا اعمدة الجامع
فهي مختلفة الاصل ذات هيئات شتى قدّرنا انها سبقت ايام الفتح الاسلامي ولعلها
كانت تزين كنائس قديمة تهدمت

(التسمية لعدد آخر)

السجنجل

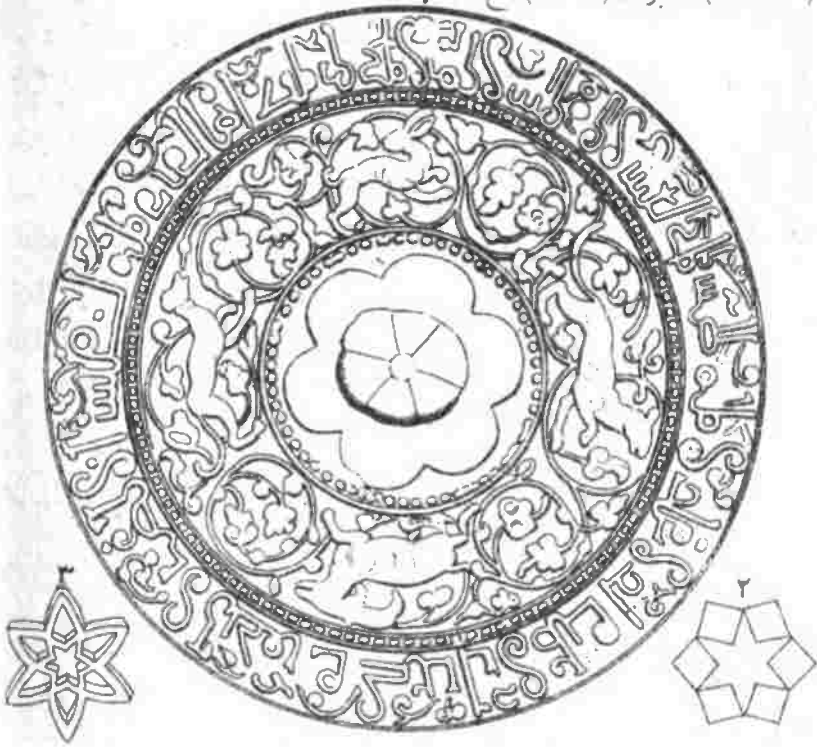
لخضرة ألكاتب العالم والباحث المتفَنِّ الاب انساس الكرملي

قد ذهب اللغويون في اصل هذه اللفظة مذاهب شتى . قال في شفاء الغليل :
السجنجل المرأة والزعفران او ماء الذهب . ويقال : زَجَنجل . معرَّب . اهـ . ولم يذكر الاصل
العرب عنه . وقال في محيط المحيط : « السجنجل المرأة والذهب وسبائك الفضة والزعفران .
رومية اهـ . وذكر صاحب الزهر السجنجل بين الالفاظ الرومية . وكذا فصل الثعالي
صاحب قه اللغة . وقد وردت في كتاب مرقاة الحجابي كلمة السجنجل بين الالفاظ
السريانية او العبرانية الاصل . وذهب السيد المرتضى والمجد الفيروزابادي وعاصم
اندي وغيرهم الى ان اللفظة رومية . وقال الاب هنري لامنس اليسوعي في كتاب
الغروق في حاشية ص ١٢١ : السجنجل عند اكثر اهل اللغة انه رومي ولا يُعرف له
الألفظ « speculum » اي المرأة . فلست اتحمق هذا الاشتقاق لوجود النون في
سجنجل وقلب p جيماً . انتهى

والخلاصة ان الآراء متضاربة في هذا الصدد الى انني اخال قد اهديت الى
اصلها الاعجمي على الصورة الآتية : لما كنت يوماً مارداً باحدى اسواق بغداد المعروفة
بسوق الغزل رأيت عند احد الباعة مراني مختلفة الطول والشكل ومن جملتها طائفة
منها مركبة في قطعة خشب ثخينة مستديرة محفور باطنها على شكل مسدس الزوايا .
(انظر الشكل ١ في الصفحة التالية) . ورأيت ان من اعراب البادية من يُسَمِّي هذا النوع
من المرايا المسدسة الزوايا : « سَجَنجَلًا » والنوع المركب زجاجة تركيباً غير هذا التركيب
« ماوية » او « مَراية » فاستغربت هذا التمييز او التقيد وقلت في نفسي : لا بُدَّ من
ان فيه سرّاً لغوياً . وبعد ان امعنت النظر في هيئة المرأة رأيتها مسدسة الزوايا . فقلت :
لقد اهديت اخذ الى سرّ تسميتها بهذا الاسم فتكون الكلمة معربة عن الرومية
sexangulum بتقدير speculum ومعنى ذلك : (المرأة) المسدسة الزوايا . فخذف
الوصف وبقيت الصفة على ما هو الامر جارٍ في الفاظ كثيرة

أما قلب الحرف x الرومي او تاليوناني حرفاً واحداً في العربية فكان معهوداً
عند القدمين . قال في شفاء الغليل في شرح لفظة بيارستان : « . . . واول من صنعهُ

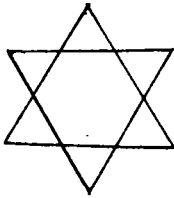
ابقراط وسماه' «أخسندوسكين» قلت: ويونانيتها «ξενδοσχεϊον» ومن يتبع بعض
الانفاظ يرَ شيئاً كثيراً من ذلك الطقس (τάξις) والانيق (ἀνιξ) والابريز
(δριζον) وغير ذلك. ومثل ذلك فعل الافرنج فانهم قد نقلوا حرفاً واحداً عربياً
الى حرفهم x من ذلك: الطباشير (tabaxir) والشرناق (axirnach) والشاويش
(chiaoux) والبورق (borax) الخ



الشكل ١ مرآة قديمة الشكل ٢ و ٣ نقوش عربية مسدنة

واذ قد ثبت لنا مأخذ الكلمة العربية نقول: امأً لفظة «زَجَنجل» بالزاي في
الاول فهو تصحيف السَجَنجل كما ورد مثل ذلك عند العرب سواء في الانفاظ المربة
كالسراط والزراط والسقر والزقر او في العربية النصحي كاللسق واللزق والبساق والبزاق.
ولنا امثال على هذين النوعين تُعدُّ بالملئات ألا اننا نجترى بما ذكرنا
وامأً من جهة سائر معاني السجنجل المعروفة عند العرب فهي من باب التوسع

والحجاز والتشيه . فن معاني السجّجل عندهم « الفضة » ووجه نقلها الى هذا المعنى بين
 لما في القضة من البياض والجلال . وروية الصور فيها اذا كانت صقية السطح ولأن بعض
 الرائي كانت تُتخذ من الذهب والفضة . ثم انتقلوا من معنى الفضة الى « الذهب »
 اما للسبب الذي ذكرناه آخرًا واما لان القضة والذهب معدنان اخوان من جهة النفاسة
 والعزّة حتى ان العرب اطلقوا عليهما اسم « الحجرين » بل وزى في كثير من الاسماء
 العربية الدالة على القضة تدلّ ايضا على الذهب مثال ذلك : النُضار والتبر والعسجد
 والصيّدن وهذه للفضّة والصيّدان للذهب ولعلّ الاصل في الاثنين واحد . ثم من معنى
 الذهب الذي تنويه كلمة سجّجل انتقلوا به الى معنى الزعفران لما بين هذا النبات والذهب
 من المشابهة في اللون . كما سنّوا صَرَفاً (وهو نوع من التمر رزين) النحاس والرصاص
 للسبب عينه . فصار معنى السجّجل الدال في الاصل على مسدس الزوايا : « المرآة والفضة
 والذهب والزعفران » . قال صاحب التاج : « السجّجل المرآة رومي معرب . . . وايضا
 الذهب ويُقال سبائك الفضة وقطعها على التشيه بالمرآة - ويُقال الزعفران . . . » فتأمل في
 السجّجل . ولا تغفل عما حلّ فيها من الغيّر والعلل . حفظك الله وآياتنا من الزلل والخطل
 (المشرق) نشكر لحضرة الاب انتاس افادته عن اصل لفظة السجّجل واشتقاقها فلا رب
 انّ العلماء يعمرون قوله بالآلايسما انه استند على برهان وضحيّ أيدّ به مقاله . وما لا ينكر ان
 المسدس كان يدخل كثيراً في نقوش الهندسة العربية كما ترى في الاشكال التي رسمناها (راجع
 الشكل ٢ ٣) . وقد جاء في الفصل الثالث والثلاثين من كتاب يوليوس ساليوس في اثناء
 ذكره لبلاد العرب أنّهم كانوا ينحتون الزبرجد على الشكل المسدس الزوايا (Beryllus sexan-
 gulus) . وممّا رواه الملامّة رينو (Reinaud) في كتابه عن الآثار



الشكل ٢

المحفوفة في متحف الدوك دي بلاكس انّ المسدس كان يدخل في
 كثير من الاشكال السحرية عند العرب كما ترى في هذه الصورة ولا
 غروا ان اتخذوا مرايا على الصورة عينها . وفي الشكل الرابع الذي
 تراه في الصفحة ١٥٦ مرآة قديمة عربية في وسطها دائرة مسدسة . لكننا
 نستغرب اشتقاق لفظة السجّجل من كلمة لاتينية مع قلّة الالفاظ العربية
 المأخوذة من هذه اللغة . ثم في اللفظة اللاتينية الحرف المزدوج x يكون
 على قول حضرة الكاتب قد نُقل الى الجيم العربية ولا نعرف مثلاً يبيد ذلك . ولم لا يقال انّ
 سجّجل منقولة عن المبرانية سَجْجَل (سَجْجَل) ومعناها فيها « المستدير » فان المرايا في الغالب
 مستديرة الشكل (١) . ثم انّ بين اللفظتين العربية والمبرانية تشابهاً ظاهراً . هذه ملاحظات نعرضها
 لحضرة كاتبنا البارِع لعلّه يجد فيها بعض الصواب . وانه اعلم
 (ل . ش)

زوار الليل

الاب ليفنكتون اليسوعي عرجا حضرة الخوري اسطفان البعلاني

كانت جمعية القلب الاقدس المعروفة بجمعية « الاتحاد » قد عقدت في لندن اجتماعها الشهري جرياً على مألوف عاداتها في دير « ارلنكتون » فالقي رئيس هذه الجمعية الاب موراي خطاباً بليغاً في هذه المناسبة جعل موضوعه « فضيلة الغيرة » فاجاد في ما قال منتهى الاجادة وكان لكلامه تأثير عجيب في نفوس الحضور لاسيما عند ما جاء على ذكر مكافأة الاشتراك مع المسيح في عمل تخليص النفوس السامي . على ان تأثير هذا الكلام كان اشد واقوى في ابنة من صفار الطلبة ومن « الفيورات » في الجمعية اسمها اغنيسة بحيث وقع في قلبها وقوع الكلام المتزل وقد كانت ترى ان عمل تخليص الانفس مما لا تصل اليه مداركها لكنه اصبح عندها بعد سماع خطاب الكاهن مفهوماً بيتاً لا بل من الامور التي سلبت عقلها واخذت بمجامع قلبها كقمة جبل تجلت للنظر بعد ان وقعت عليها اشعة غزالة الصباح . ومن ثم شعرت كأن قوة تدفعها الى القيام بشي . من هذا العمل الخطير لكن كيف وباي طريقة تلك مسئلة بقيت عندها محلاً للنظر ولم تر بداً من مكاشفة الاب موراي بها وعليه فبعد اعطاء البركة وقتت تنتظره في ردهة الاستقبال

وكان هذا الاب معروفاً بطيب القلب وبشاشة الوجه مما جعل الاحداث يستأنسون به وكان يعز هذه الابنة التي لم تتجاوز الاثني عشر ربيعاً ويفضلها على غيرها من اترابها لاجلها اذ كان يرى كل ولد جميلاً ولا لصلاحها لانه كان اعلى من ان يسي الظن باحد من احداث رعيته ولا لامتيازها عن اقربائها الطلبة اذ كانت تتساوى عنده اقدار الاحداث بل السبب ما رواه لبعض الكهنة قال : « كان يجنبي من هذه الابنة مزية واحدة وهي معرفة الاهليات الامر الذي ربما عجت منه والذي اعنيه هو انها تفهم حقائق ديانتنا المقدسة . وانت ترى ان الرجل الموسيقي يميل الى تلميذ مولع بفن الموسيقى والمصور يعز تلميذاً اوتي براعة خاصة في فن التصوير اذاً فلا بدع اذا اغز الكاهن تلميذاً اوتي موهبة فهم الامور السرمديّة »

وقد اختبر الكاهن الفاضل هذه الموهبة في الابنة المذكورة أيام كان يؤهب الاحداث الى المناولة الاولى منذ سنة وكان جرياً على حميد عاديةٍ يترج على الاولاد استظهار امثولة معينة في التعليم المسيحي ويعنى بتفسيرها لهم بكل دقة ثم يأذن لكل منهم ان يلقي عليه ما شاء من الاسئلة في الامور التي شرحها لهم. وقد قال الاب موراى ايضاً: «كثيراً ما كنت اذهل من اسئلة هذه الابنة وملاحظاتها الصادرة عن صائب ظر وطول روية واذا شرحت قاعدة من قانون الايمان ادركت من معناها الغاية واحقق لك اني بعد وقوفي على مبلغ عقل هذه الابنة لم اعد اعجب لعمل القديسة كاترينا التي انجست من ناصبها من فلاسفة عصرها الحالي في الاسكندرية»

ثم بعد زمن قليل اتى الاسقف ليمنج ابنا رعيته سر التثبيت فبسط هذا الاب القيود لدى سيادته حالة اغنيسة فتبسم لما رآه من حماسة هذا الكاهن الشيخ واستحسن ان يضاف الى اسمها في التثبيت لفظة كاترينا فسر الكاهن لذلك وقال: «اني لاجب كيف ان هذه التسمية لم تجر في خلدي ولا غرو فان آراء سيادتكم هي آيات مثلة لان الابنة ككاترين بطهارتها وحكمتها»

ولا بدع اذا رأينا هذا الاب زاد اعزازاً لهذه الابنة واذا رآها ذات يوم بادها قائلاً: «ما حالك يا اغنيسة انك لقد اصبحت اليوم من الغيورات بل من الصادقات في جمعية يسوع المباركة فحبذا هذا الفخر ولك مني خالص التهنة. قالت: اشكرك ابنت غاية الشكر واني سأبذل الجهد لتحقيق رغائبك واكون من الحاميات الصادقات على اني جئت الآن ارجو حضرتك الافادة عن شي. ورد في عظتك بالامس. فقال: ما هو. قالت: امر تخليص الانفس فقد حدثتني النفس بان اقوم بهذا العمل ويعلم الله ما فعل كلامك في قلبي فلم اكن ادري من قبل ما هو تخليص النفوس. قال: ان هذا عمل مقبول لدى القلب الاقدس واني مسرور لكون كلامي اثر فيك هذا التأثير. قالت: نعم ابنت وقد وطنت النفس على تخليص نفس واحدة على الاقل. قال: انفس واحدة خلا نفسك. قالت: نعم وهنا نقطة المسئلة فاني اذا استطعت ان اخليص نفساً كنت على ثقة من خلاص نفسي. قال: ذلك لا ريب فيه. قالت: ومن ثم صح عندي ان من اخلاصه لا يقر له قرار حتى يعلم اني على وشك الخلاص ولنفرض - وهنا نظرت الابنة الى الكاهن مبتسمة - ولنفرض ابنت اني خلصتك أفلا تعمل بما في وسعك

على ان تفتح لي باب السماء.. فتبسم الكاهن وقال: من البديهي انني افعل ذلك واقم الحجة على القديس بطرس اذا حاول ابقاءك خارج الجنة

لعلمي ان محادثة هذين الصديقين على تفاوتهما في العمر لما يبتهج له الحاطر ويقر بمرآه الناظر ولا بد للصدقة كما قال الفيلسوف من وجود التناسب بين الصديقين وترى ان هذا التناسب قد وجد لسوء مدارك الابنة الصغيرة من الجهة الواحدة ودعة الكاهن الشيخ من الجهة الاخرى ثم قال الكاهن: لقد اصبحت يا اغنيسة في الاعتقاد بان الاحسان يقضي على الحسن اليه بان يعمل كل ما يوسعه خير الحسن. قالت: ذلك ما فكرت فيه ولا بدع ان مخلصنا الالهي لا يدع عبداً اكرم منه فاذا خلصت له نفساً خلص لي نفسي. وهذا ما حملني على الرغبة في تخليص نفس وايتيك الآن مستفيدة كيف يتهاً لابنة مثلي ان تخلص نفساً فانك انت كاهن ويتسنى لك تخليص الشعب. قال الكاهن: قد يمكنك تخليص الغير بالصلوة وعلى الخصوص مع الآخرين كما هو الغرض من جمعية الاتحاد. قالت: نعم غير انني لا اظفر بالضالة اللشودة وهي ان اخلص نفساً بفردي. فاطرق الكاهن هنيئة ثم قال: لقد ادركت قصدك وهالك طريقة الوصول اليه وهي ان تعثدي طفلاً على خطر الموت في حين ليس من وقت لدعوة الكاهن فان مات الطفل بعد هذا كنت على ثقة من ارسال نفس الى السماء. على انه لما كان ذلك نادر الوقوع فخير لك ان تصلي لاجل الانفس بالعموم وتسالي الله ان يوحى اليك اذا ما خلص شخص بصلواتك وربما بقي ذلك غامضاً لديك الا ان اسرار الله وطرقه عجيبة فسلمي الامر الى مشيئته عز وجل وهو يرشدك الى الطريقة المثلى. قالت: اشكر لحضرتك الافادة والآن فاني استودعك الله. قال: على الطائر الميمون وبحراسة الله

*

بينما كانت اغنيسة عائدة الى البيت اخذت تفكر في ما قاله الاب موراي وعزمت على ان تتلو كل يوم بعض صلوات خلاص الانفس غير غافلة عن انتهاز فرصة لتعبد طفلاً على خطر الموت فاخذت من ثم تعتي بامر الاطفال من جيرانها حتى اكتسبت قلوب ذويهم بلطفها وبذلك تسنى لها معرفة من تنصر من هذه الازهار

البشرية الناضرة ومن لم يتنصر منها ثم وجهت منتهى العناية الى الصغار غير المعتمدين
لجعلهم اولاداً لله وورثة السماء.

فاتفق انها بينما كانت ذات يوم مارة ببعض البيوت رأت امرأة ايطالية الاصل
كانت توطئت حديثاً مع اسرتها ذلك الحى ورأت في حجرها طفلاً خُيِّل لها بانه واحد
من جوقة الاطفال السماوية التي تبدو بكماها وجمالها من فوق قوس بهيج كما تُرى
في صور المصور رافائيل الشهير ولم تتالك ان هتفت قائلة لتلك الام : تبارك
الله ما اجمل طفلك . وما عثم حتى تمكنت عرى الصداقة على قصر العهد بين الابنة والام
وبالمثل بين ذلك الطفل الذي اخذ يحف ماداً يديه الى اغنيسة الصغيرتين عند ما تهم
باخذهم على ذراعها كأن قد أوحى اليه اعجاب الابنة به . وعرفت اغنيسة ان هذه الاسرة
كاثوليكية وان الطفل لم يعتمد بعد وقد اتى عليه من العمر ستة اشهر فألحت الابنة
على المرأة لتسرع بتعميد الطفل مخافة ان يفاجئه لا قدر الله ما يودي بحياته فيحرم من
الذهاب الى السماء ومن صعبة الملائكة الذين يميلون الى مراقبته وهو بمكان من الجبال
والظرف . فهذه الكلمات الساذجة بعثت في صدر تلك الام قلقاً وعادت على نفسها
بالوم على هذا الاهمال وقالت انها تكلم زوجها في هذا الشأن

وكانت من نتيجة ذلك ان الطفل صار تعميده من يد الاب موراي في الاحد
التالي وكانت اغنيسة بعد اخذ رضى والديها كفيلة له وبعد انتهاء الحفلة تقدم الكاهن
من اغنيسة واثني خيراً على مرونتها ويثني لها ان قد نالت سهماً عظيماً في هذا العمل
البرور ثم ألع الى انه اذ لم يمت الطفل كما يرجو وجب عليها العناية بتربيته على الدين
الكاثوليكي واصبحت مسئولة بالمحافظة على تقويم اخلاقه . فهذه المسئولية اضعفت
شيئاً من عناية اغنيسية بالاطفال وقالت : ان الاجمل بي ان اصلي لاجل خلاص
النفس واترك الباقي على الله

واصيل يوم الاحد بعد ذلك بشهر من الزمان كان الاب موراي راجعاً من عيادة
مريض وعلى وجهه علانم الغم ودلائل الاضطراب كأن امرأ جرى على غير ما يريد .
وتفصيل الخبر ان امرأة كانت مرت به وحدته بوجود رجل مشرف على الموت نازل في
بعض بيوت ذلك الحى وهو من جعدة الدين الكاثوليكي وطلبت اليه ان يدبر
المريض الذي لم يدع كاهناً بالتي هي احسن . فشكر لها هذه العناية ووعداها باتمام ذلك

وما لبث ان اطلق الى منزل الرجل فوجده قد ناهز الحسين من العمر متوسداً فراشاً بالياً اصفر الوجه يقاسي اشد الاوجاع. وما كاد الكاهن يدخل حتى لحه العليل فحوّل نظره عنه كأنه شماساً من منظره. فدنا الاب من فراشه وقد اخذته الشفقة عليه وطفق يلاطفه بريق الكلام مستفسراً عن حالة مرضه ثم سأله اذا كان كاثوليكياً فاجاب الرجل بنفور: لا لست على شي. قال: ولكن أما كنت كاثوليكياً من قبل؟ قال: مهما كنت فليست الآن على شي. ولا اعتقد بدين من الاديان. فاذا ذاك اخذ الاب موراي يستعمل ما أوتيته من الحكمة والدربة ليضرم في صدر هذا الجاحد شرارة من الايمان ويبعث به على الرغبة في اسرار الديانة ولكن ذهب تبعه سدى وبقي ذاك القلب قاسياً كالصخر الاصم واخيراً قال الرجل: لا ترعني فانا لم أدعك اليّ ولست بداع كاهناً او مرسلًا سواك اياً كان. ولما رأى الكاهن الصالح ان تبعه ذهب ادراج الرياح ترك ذلك البيت ومضى. وهذا سبب ظهور علانم الكتابة على وجهه في حين رجوعه الى منزله. وبينما هو يفكر في هل من وسيلة يستخدمها لرجوع ذاك الضال الى الله واذا بصوت غذب نهبه من تفكره يقول: اسعد الله مساءك يا ابتر موراي. والتفت فرأى اغنيسة تنظر اليه مبتسمة وكأن قد أوحى اليه على ما يعرض لمن زاول المهنة المقدسة ان العناية الالهية شامت ان تمنح نعمة الهداية لذلك الخاطئ المصر على غيه على يد تلك الابنة الطاهرة فقال: اريد منك يا اغنيسة ان تسرعى الآن الى الكنيسة وتتلي بعض صلوات لاجل رجل مارق من الدين عسى الله ين عليه بالتوبة ونور الهداية. قالت: سمعاً وطاعة. وتوجهت الى الكنيسة وسار الكاهن في سبيله وقد سرى عنه بعض الهم وهو على يقين من ان الخاطئ لن يموت بدون الزاد الاخير

*

ان الصلوة لاجل اهتداء رجل خاطئ لم تكن بالامر الغريب لاغنيسة فقد اعتادت ان تذهب في كل احد لتسمع الاب موراي يقرأ قائمة اسماء الذين تطلب الصلوة لاجلهم استمداً لثمة الاهتداء والميعة الصالحة والنعم الضرورية. فدخلت الكنيسة وتلت بعض الصلوات على نية الاب المذكور وعادت الى بيتها فوجدت والديها بانتظارها في ردهة الاستقبال وما كادت تدخل حتى قالت لها أمها: انني كنت احدث والدك عن ترنمة جديدة أنشدتها الاحداث في قداسهم هذا الصباح وقد أعجبت بها غاية

الاجاب فهل تعرفين عنوانها ؟ قالت : هل تريدن التريمة التي مطلعها « اسمعي يا نفسي » ؟
 قالت : نعم هي هي . قالت : انها احدى اغاني فاير الشهير وعنوانها « زوار الليل » ولعمري
 انها غاية في الحسن وايا ليت عندنا علاماتها الموسيقية . قالت : ينبغي استحضارها فهل
 تعرفين اسم واضعها ؟ قالت : نعم وضعها ريشرذسون . فقال المستر رالي ابو الابنة :
 انني اشريت بعض انغام موسيقية وقد اعطاني احد الكهنة كتاب اغاني انكليزية
 لاطالمة ولعل فيه علامات الانشودة المطلوبة فاصعدي يا اغنيسة الى غرفتي وأحضري
 لي الصرة الموضوعة على الحزانة . فذهبت واستحضرتها وما كاد ابوها يفتح الكتاب
 حتى رأى كلمات الانشودة وعلاماتها بعينها فمرت امرأته لذلك سروراً عظيماً وقالت
 لابنتها : ينبغي الآن ان تغني التريمة ليرى ابوك ما اشجاها وانا اعزفها على البيانو . قالت :
 حسناً ما قلت وانما لست اعرف منها سوى ثلاثة ادوار . قالت : ذلك يكفي وتقدمت
 الى البيانو وكان النهار جميلاً والحر شديداً ففتحت النوافذ لدخول الهواء النقي
 رفعت اغنيسة صوتها وانشدت :

اسمعي يا نفسي انغام السماء وقد امتدَّت قُبيل الفلَس
 فوق بحرٍ بالنار ألتطا ورياضٍ ذاكيات الفرسِ

*

حبذا صوتٌ حلا اذ حملا صادق الاخبار عن ذاك النعمِ
 حيث وجه الله يبدو من على عرشه تبارك الوجه الوسمِ
 لا شقاء لا غنا لا وجلا بل سلام أبداً الدهر مقيم

*

تلك اجواق مسبح عظمًا هبطت ترهو باجي ملبسِ
 انشدت « زوار ليل » نفا حاوي الترحاب بادي الانسِ

وقد كان صوت اغنيسة في بادي الامر ضعيفاً غير واضح تمام الوضوح الا انها
 ما تقدمت بالانشاد حتى اشتد الصوت قوةً وتأثيراً مجاوباً لعواطفها التي تنهت
 بالكلام والنغم فتحرك ابواها واخذتهما هزة الشجو والطرب . وما كادت تنتهي
 من الانشاد حتى تقدمت اُها المسترس رالي وقد تولأها الدهش والعجب وهتأت ابتها
 على ما أوتيت من البراعة في الغناء واذ نظرت الى وجهها ورأت الدمع يجري من مآقيا
 قالت : ما شأنك يا عزيزتي اغنيسة . قالت : لست ادري يا اماء وقد شعرت بشي .
 غريب في اثناء غنائي اذ خيل لي ان كلمات الانشودة رانيسة وتثلت لعيني صورة

الملائكة ينشدون وكاني بهم يتضرعون الى الله في شان الحاطي المسكين الذي رغب اليّ الاب موداي في ان اصلي لاجله . فقال المستر رالي : من هو يا ترى ذاك الرجل . قالت : لا ادري ولكن الاب موداي قال لي انه شخص قد اشرف على الموت وهو في حاجة الى نعمة الاهتداء . ولعلي لم اصل لاجله بكفاية فاستأذنكما في الصعود الى غرفتي لاتي بعض صلوات لاجله . وما كادت تخرج من حضرتها حتى قالت الام : تالله لقد اصبحت اغنية لطيفة الاحساس قال الاب : نعم واخشي ان تصير ألطف احساساً فيفاجئها لا قدر الله بعض الامراض وليس عجيباً ان ابنة من مثلها تتأثر لكلام أغنية او لتفكرها بموت رجل مما لم تعتد مشاهدته وقد خيل لي ان وجهها يلعب وقت الغناء كوجه من يزل عليه الوحي وقد اهتزت لصوتها كالشارب الشل . قالت : ويا عجيبي ان ذلك ما حدث لي . قال الاب : هيّا بنا الآن لننظر الى هذه الانشودة تبارك الله ما ارق هذا النظام واجلي هذا الكلام فله در الاب فابر من شاعر مجيد واني سمعت ان لو لم يصّر كاثوليكياً لعدّه الانكليز شاعر العصر ولا جرم ان من اعظم انتصارات الكنيسة في هذا القرن اهتداء هؤلاء العلماء الاعلام والموسيقى الثلاثة الانتقام ألا وهم « نيومن ومانينغ وفابر » وقد صحّ ان الكنيسة الكاثوليكية تستطيع أسرار شرف الناس مهما ست مداركهم وارتفعت منزلتهم فبحققتها فازت بعقل « نيومن » الباهر وبصلاحها الذي لا يُغلب تغلبت على ارادة « مانينغ » وبهائنها اكسبت قلب « فابر » الرقيق

*

ان الحالة التي يرى المرء نفسه فيها بعد نبذ نعمة الله هي اتمس الحالات واشقاها وهذا المحضر الحاطي الذي رفض قبول رسالة الاب موداي عرف الان قيمتها فقد حاول حيناً ان يتسّر بستر الشك ويتمنع بحصون الريب والوهم ولكن ما عم ان تقلصت هذه الغياهب الرقيقة وتقوّضت تلك الصروح الواهنة بتريديد حملات الاب موداي الصادقة والنقض البين لزاعم عقله الوهميّة ورأى ضيقه يشكوه وجهاً لوجه لانه وهو الرجل الكاثوليكي المولد قد ابى قبول مساعدة كاهن عند احتضاره وبالتالي رفض مقاصد الخلاص وكثيراً ما حدثته النفس - والنفس اماراة بالسوء - ان قد فات الوقت وتوبة المريض مريضة وبهذا اعتراه الفشل وجّه الى اليأس او كاد . وكان

لأن نافذة غرفته تُركت مفتوحة فدخل منها صوت ولدٍ يعني غناءً تشبّه النفس ونحن
إليه القلب وقد أتى ذلك الصوت الرخيم بيناً مفهومًا عند سكون الاصيل حتى سمع
النساء كلمةً فكلمته . فاصغى الرجل شديد الاصغاء . تخلصاً من نحس ضميره وصرفاً
لذهنه عما كان يقلقه من الهواجس . فوجد في بادىء الامر شيئاً منعشاً ملطفاً في رنين
صوت الولد الطاهر ألا ان هذا لم يكن واحسراته بالامر المقصود اذ قد اتجه ذهنه الى
الترنية فتذكر الفاظها وقد كانت هذه نماً اعتاد ان ينشده في زمن الصبا وهو بعد
طفل طاهر في جوقة المرتلين بانكثرة . فساقته تصوره الى مراجعة تلك الايام السعيدة
فذكرها بعد نسيانه وتمثلت ليمينه تلك الاقواس البهيجة في الكنيسة القديمة العهد حيث
وقف الكاهن في المحراب وقد جثت والدته على مقعدها عن قرب وهو ينشد :

تلك اجواق مسبح عظماء هبطت ترهوا باهى ملابس
انشدت « زوار ليل » نضما حاوي الترحاب بادى الانس

ولا ريب انه كان اذ ذلك اشبه بملك . ولكن اتري الملائكة تنشد مرحة به اليوم
له كيف انقلب . فهطل الدمع الغزير من مآقيه لتفكره بهذا واختلط قلبه بالغم
والاشجان ثم سمع انشاد الدور الثاني :

صوحا رن رنبنا قد حلا من يبعد في الدجى وهي تصيح
« يا نفوسا حملها قد ثقلا لا تخافي واتبعي صوت المسيح »
« انه بدعوك فاتي عجلا كل من يأتي إليه يستريح »

*

اغنا الانجيل موبتى فا اطرب الصوت بلحن قديمي
انه يمدو بنا نحو الحمى جنة الفردوس اشهى مجلس
فهتف قائلاً ان الرب يدعوني اليه فلم يفت الوقت بل لم يزل لي رجاء . ارحمني
يا يسوع مرني لكي آتي اليك . ثم سمع الدور الثالث :

ودوي من يبعد يسمع مكتواقيس دوت عند المييب
او بجاري موجه لا يجمع او حكام سجت سجع الخطيب
شغل القلب به والمسمع ذاك حقاً صوت ايسوع المييب

*

اجا الراعي الالهي اغنا انت غوث لضعاف الانفس
فادّر خطواتنا نحو السما وأخا ارشاد روح القدس
ان صوت اغنية الحرك المواطف « كناقوس دوى عند الغيب » كان لذلك الخاطى

المحتضر كصوت الراعي الصالح نفسه يدعو إليه ليرجع إلى المرعى الحقيقي فهتف قائلاً: انا آت يا مخلصي الحبيب. وما كاد يأتي على هذه العبارة حتى دخلت إليه تلك المرأة التي ذكرنا انها كانت تعتني به رحمةً واشفاقاً فبادرها قائلاً: ناشدتك الله ايها المرأة الأثيني بالكاهن عاجلاً ليرد إلى السلام قبل المات. فاسرعت المرأة وهي لا تكاد تمي من شدة الفرح وبلغت الامر إلى الاب موراي الذي سار من وقته إلى جانب فراش المريض واخذ يعزيه بأسرار الديانة الاخيرة. وما اشد ما كان تعجبه اذ علم ان الحامل على اهتداء الحاطي كان انشاد اغنية لبعض الاولاد المجاورين وللحال طرق فكره اسم اغنيسة. فاستعلم من المرأة عما اذا كانت سمعت الغناء وعرفت الغني فقالت: نعم ومن المؤكد ان الولد ما كان إلا بنت المستر رالي الصغيرة بارك الله فيها ما كان اطرب صوتها. قال: لقد صح ما قد رثته فاسرعي يا مسترس مورفي وتكرمي باحضار اغنيسة. ولما اتت اخذها بيدها ودناها من فراش العليل قائلاً: هوذا الولد الذي انشد الترنمة التي سببت لك هذا التأثير. فهتف الرجل وقد اخذ يدها وادناها من شفتيه قائلاً: ليباركك الله يا بنية بفضلك نلت نعمة الرجوع إلى ربّي. امّا اغنيسة التي لم تكن تدري بشي. ممّا حدث وقفت كالأخوذة على ان الاب موراي اسرع فاخبرها بالامر وقال: هوذا الشخص الذي رغبت اليك في ان تصلي لاجله وقد وددت الآن ان تسمعي من فمه ان الله عز وجل قد شاء برحمته ان يسمع صلواتك فاذهبي الآن واخبري والديك بانتي سامر بهما عند رجوعي إلى منزلي. حينئذ وجه انظاره إلى المحتضر الذي اخذت قواه تنحل وتنحط بسرعة فتلا صلوات المحتضرين لاجله واقام عند فراشه يشجعه ويعزيه حتى لفظ انفاسه الاخيرة بسلام. واذ ذاك قام وهو ملوّح غزاء بمحمد العناية الالهية العجيبة ثم انطلق ليזור آل رالي فوجدهم يتوقعون مجيئه بفروغ صبر لان حديث اغنيسة الملتبس بسبب لهم حيرة. فقص عليهم الخبر اليقين وختم الكلام قائلاً: انني على يقين تام ان الرجل مات بتوبة صادقة ولا ريب في انه فاز بالخلاص وعليه قد قيض الله لك يا اغنيسة ان تتحققتي اجابة صلواتك. قالت: نعم ابنتي تبارك الله جل وعلا ان طرقة عجيبية واري نفسي موعبة من الشكر والحمد لله تعالى اذ تفضل بمن علي بتخليص نفسي. وهنا تكلم المستر رالي فقال: انني بعد امعان النظر في كل ما حدث لا اظن ان اغنيسة نالت وحدها كرامة هذا الاهتداء بل هناك شريك يشاركها فيه وهو انا الذي استحضرت

الكتاب المشتمل على التريضة التي أثرت بالحاطي. فقالت المسترس رالي: وانا لا أنحرم نضياً من اجر هذا العمل اذا كنت أوّل من فكر بالتريضة وأغريت أغنيسة على انشادها. حينئذ قال الاب موراي: لقد احسنتم ايها الكرام في ما نطقتم ولا بد لي من ان أخص الاب فابر الذي نظم الانشودة بسهم فهو والحق يقال جدير بالنصيب الاوفر وانا أخشى يا اغنيسة ان لا يبقى لك الا اليسير بهذا الاجر. ولكن اغنيسة تبست لهذا القول وشمرت بنفسها ان العلي قد استجاب دعاءها وكان قلبها يقطع عزاء وفرحاً

تسريح الابصار

في ما يحتوي لبنان من الآثار

للأب هنري لامنس اليسوعي (تابع لما سبق)

٦ انتشار الامة المارونية (تممة)

ولمّا كثّر عدد الموارنة في القرون الثامن والتاسع والعاشر اخذوا شيئاً فشيئاً في الاستداد الى الجنوب واحتلّوا بلاد جبيل. وممّا يشهد على سكناهم في معاملتي جبيل والبقرون مذ ذاك العهد عدّة كنائس سبق لنا وصفها في مقالاتنا عن كنائس لبنان القديمة (راجع المشرق ٣: ١٨٠). وقد لقي الموارنة في تلك النواحي قوماً من اصل البلاد كانوا يسكنون السواحل والوسط. غير أنّ عددهم لم يكن متوفراً. وكان اكثرهم نصارى يتكلمون باللغة الآرامية وقيمون فيها طقوسهم الدينية. وعندنا أنّ هؤلاء الآراميين لم يلبثوا ان يترجوا بعد قليل بالموارنة امتزاج الماء بالروح كما امتزج بهم ايضاً بقايا المردة والجرارحة الذين تحلّفوا في لبنان. وكانت مهاجرة سكّان وادي الارط الى لبنان لا تزال متواصلة متتابعة لمزاحمة اليعاقبة واضطهادهم للموارنة وكان المكيّون مع هذا يقطعون بعض قرى لبنان في بلاد البترون وجبيل مثل

كفر شليان وحدتون (١) وبسمايا (٢) ودوما والقرى المجاورة (٣) نحو كفور (٤) وغرزوز وغيرها. وكان الملكية في لبنان يتبعون آنشد في فرائضهم الدينية طقس انطاكية اعني على الراجح لتيورجية القديس يعقوب التي ناقضها بعد ذلك البطريرك ثاودورس بلسمون (٥) واستبدلها بليتورجية القسطنطينية. وفي ما خلا ذلك لم يختلف المكيون عن بقية الآراميين في اصلهم ولغتهم. وما لارب فيه ان الكتابات اليونانية لنصارى لبنان قليلة جداً لا يعرف منها الا كتابتان او ثلاث كتابات. اما الكتابات التي تروى على بعض الصور في سيده نايّا بكفر شليان مخطوطة باليونانية فليست هي للوطنيين وانما كتبها مصورون بوزنطيون او مثّلها الوطنيون كما وجدوها في امثلة بوزنطية قديمة

وبعض القرى التي كان يسكنها سابقاً المكيون زارها بعد ذلك مأهولة بالوارنة. إماً لأنّ الوارنة دخلوها فامتزج بهم المكيون. وإماً لأنّ المكيين هاجروها فانتقلوا الى امكنة غيرها او لاسباب نجهلها

وخلاصة الامر أننا اذا استثنينا اليهود نجد في تركيب الامة المارونية ما نجده في تأليف جميع الامم التي تترصّب أصولها من عناصر شتى. وكذلك الامة المارونية اذا اعتبرتها في اواخر القرون المتوسطة رأيتها تتألف من اصول مختلفة اولها واعظمها شأنًا الموارنة المهاجرون الى لبنان من سورية الشمالية وسورية الوسطى ضوى اليهم قوم من الأتراك والطرعاء الذين لاذوا بحمي المردة والجرافة الباقين في لبنان فضلاً عما كان هناك من القطلين الاصليين. فهذه العناصر كلّها تمازجت بعد حين وصارت أمة كبرى ذات لغة واحدة وهيئة واحدة وغاية واحدة لا يمكن الآن اصحاب النظر مهما دققوا في البحث ان يفروا جنسياتها الاصلية

فاذا لحظنا نموّ الامة المارونية كما تقدّم واعتبرنا ان عدد المواليد يفوق كثيراً عندهم

(١) راجع في المشرق (١٠٢٣:٣) مقالاتنا السابقة عن هذين المجلدين

(٢) تاريخ الدوجي (ص ٢٠٧)

(٣) منها كفر حلدا وقد وجدت فيها آثار ابنة للملكيين

(٤) راجع كتاب خزان الكتب في دمشق وضواحيها للاديب حبيب افندي زيات (ص

١١٩ الخ) والمشرق (١٠٤:٥ و ١٠٦)

(٥) راجع المشرق (٣: ٢٧٢)

الوفيات لا نعود نستغرب ما ذكره غليلموس الصوري في تاريخ الصليبيين حيث احصى الموارنة اربعين الفا. وهذا الاحصاء الاجمالي ينطبق على ما روي في تواريخ الاعصار المتوسطة عن الموارنة انهم منتشرون في جهات طرابلس وبلاد البترون وجبيل والجبّة الى نهر ابراهيم . وهو قول صحيح غالباً مع بعض شذوذ كما ستري قريباً عند ذكرنا لقوم من غير المسيحيين سكنوا في ايلات لبنان الواقعة شمالي نهر ابراهيم

وتماً ورد ايضاً في التواريخ الصليبية ذكر مقدم ماروني يدعى سمعان تولى عيتاب في شمالي سورية (١) ولا نعلم من اي فرقة من الموارنة كان أمن الذين في لبنان او ممن تحلفوا في بلاد العواصم . اما كونه من موارنة العواصم فاقرب الى الصواب ونجد قبل هذا العهد قوماً من الموارنة في بلاد ما بين النهرين اشتهر منهم توفيل ابن توما الماروني المنجم الرهاوي قال ابن العبري في تاريخ الدول (ص ٢١٩ و ٢٢٠) : « كان رئيس منجمي المهدي وكان على مذهب الموارنة الذين في جبل لبنان من مذاهب النصارى وله كتاب تاريخ حسن ونقل كتابي اوميروس الشاعر على فتح مدينة ايليون في قديم الدهر من اليونانية الى السريانية بقاية ما يكون من الفصاحة . » وكذلك نجد في عبر دجلة بين الموصل وبغداد جماعة من الموارنة ذكرها في القرن الثالث عشر الراهب ريكلد دي مونكروا (Ricold de Montcroix) وروى ان لها مطراً يدبرها (٢) . ولعل قيساً الماروني المؤرخ الذي اسهب في ذكره المشرق (٣) : (٤٥١, ٣٥٦, ٢٦٥) كان من تلك الجماعة . وعلى كل لا نرى احداً من كتبة الموارنة ذكر هذا المطران في ما وراء دجلة . وكل هذا دليل على ان تاريخ الامة المارونية اموراً عديدة لم يحسر بعد عنها اللثام . ومن المحتمل ان الكتبة سكنوا عن هذا الطران كما سكنوا عن غيره لان الاساقفة المارونيين كانوا مدة الاجيال السالفة كنواب للبطريرك ومعاونيه دون كرسي خاص . وانما جعلت لهم مراكز منفردة في القرون المتأخرة فقط

(١) راجع تاريخ مملكة اورشليم Röhricht : *Geschichte des Königreichs Jerusa-*
lem, p. 220, note 6.

(٢) راجع Quatremère : *Mémoire sur les Nabatéens*, p. 149

وكان القرنان الثاني عشر والثالث عشر قوتي نهوض وترق في لبنان. وفي ذلك العهد بُنيت كنائس عديدة على طرز خاص ترينها الكتابات السريانية وفيها من نقوش السيفساء والتجاوير الملونة ما سبق وصفه (١). وفي هذه الابنية دليل على وفرة عدد اللبنانيين وهمتهم ولم يزل ينمو هذا العدد ويزداد حتى هاجروا قسم منهم الى النواحي المجاورة من فلسطين ولأسياء القدس الشريف وكان لهم فيه عدة كنائس (٢). وكذلك انتقلت منهم مستعمرات الى قبرس ثم رودوس. أما قبرس فقد سكنوها منذ القرن الحادي عشر ونزى لهم في هذه الجزيرة ديراً (٣) في تاريخ سنة ١١٢٠. وقد غواغوا عظيمًا حتى انهم كانوا يسكنون منها ثلاثين ضيعة (٤) وكان يرعاهم مطران من طائفتهم. وكان بعضهم في مدن قبرس الكبرى وخصوصاً الماغوصة (٥) وكانت في ذلك العهد واسعة التجارة. أما دخول الموارنة في رودس فنظمت انه جرى على عهد الفرسان المروفين بالاسبيتلار (Les Hospitaliers) لما احتلوا تلك الجزيرة فتبعهم الموارنة. وكذلك ذهب قسم منهم في القرن السادس عشر مع فرسان رودوس الى جزيرة مالطة ولحق بهم بعض من اخوانهم من موارنة قبرس في اواخر ذلك القرن. ولعل وجود الموارنة في مالطة ممًا ساعد على حفظ العربية ونشرها في تلك الجزيرة. ومن المعلوم ان اهل مالطة يتكلمون باللغة العربية مشوبةً بالفاظ دخيلة من اللغات الاجنبية.

أما حلب فيظهر من نص لثوما الكفرطايي ورد في المشرق (١١٨:٦) ان الموارنة كانوا فيها منذ زمن قديم لكن اخبارهم في الشهباء مجهولة الى القرن الخامس عشر حيث اتاهم مدد جديد من لبنان (راجع المشرق ١٠٣٩:٥ في الحاشية الثانية) ولنعودن الآن الى الموارنة المستوطنين لبنان فأنهم كانوا في غمر وازدياد يمتدئون

(١) راجع مقالاتنا عن كنائس لبنان القديمة

(٢) المشرق ٩٣:١

(٣) راجع سلسلة بطاركة الموارنة للدويجي (الطبعة الثانية ص ٢٢ الحاشية الاولى)

(٤) راجع تاريخ قبرس L. Machéras : *Chronique de Chypre*, trad. f. 15, 16

(٥) وجاء في رحلة يعقوب دي برن (J. von Bern) سنة ١٣٤٦ انه وجد الموارنة في هذه المدينة يقيمون رهبهم على طريقة الروم. ولا نفهم ما يعني بذلك اللطه يريد ان الموارنة كانوا يستعملون اليونانية في طقوسهم وهي لغة اهل الجزيرة ؟ فهذا ممكن

شيئاً فشيئاً في النواحي المجاورة. قال الدويهي: «وبسبب ما اشتهر به لبنان اوانتدب من الامن والطمانينة قصده الناس من الاماكن البعيدة (١)» التي يهجروها المهاجرون الى قبرس وجزائر البحر المتوسط

ومع هذا النمو لا نرى الامة المارونية تتقدم الى الامام في القرنين الثالث عشر والرابع عشر. امّا لاجل مهاجرة قسم منها الى قبرس ورودس كما سبق واما لاجل الحروب التي انتشرت في كسروان في ذلك العهد فبقي الموارنة ما وراء نهر ابراهيم وهنا لا بد من تكرار ما قلناه غير مرة في مقالاتنا (٢) ان كسروان ليس من المقاطعات التي اوى اليها الموارنة قبل القرن الخامس عشر. وقد اوردنا نصاً للادريسي ذكر فيه وجود اليعاقبة في جونية (المشرق ١٠١٨:١). وان سأل القاري ومن كان يسكن اذن كسروان قبل هذا العهد. اجبنا ان معظم اهل هذه الناحية كانوا من المتأولة او من النصيريين. وكان النصيريون قاطنين ايضاً في بعض جهات لبنان الشمالية كجبهات البترون ونواحي النيطرة والعاقورة (٣) لكن عددهم الاوفر انما كان في كسروان. وقد ذكر صالح بن يحيى صاحب تاريخ بيروت (٤) الغزوات التي باشرها نواب الشام في أيام السلطانين الملك الاشرف خليل بن قلاوون والملك الناصر محمد بن قلاوون فحاربوا النصيرية في جبال كسروان ولم يزالوا يناجزونهم القتال حتى اخراجهم من كسروان وجعلوا مكانهم قوماً من التركمان على الاقل في بعض النواحي وبقي كثير من المتأولة معهم. هذا وان اموراً كثيرة من تاريخ كسروان لا تزال مجهولة حتى يومنا. الا أننا نعلم بلا ريب ان النصاري لم يحتلوا هذا الجبل قبل القرن الخامس عشر

ولما كانت اوائل القرن الخامس عشر جعل الموارنة يتجاوزون نهر ابراهيم ويصعدون الى كسروان. وكان انتشارهم فيه سريعاً حتى صارت هذه المقاطعة في القرن السابع عشر كلها لهم. وامتد من ثم الموارنة الى مقاطعتي المتن والشوف. لكننا نقف عند هذا الحد لئلا ندخل في اخبار قريية من عهدنا وليست غايتنا كما قلنا ان نسطر تاريخ لبنان

(١) راجع تاريخ الدويهي (ص ١٤٠)

(٢) راجع المشرق (١٠٦:١)

(٣) ولنا في النصيرية مقالة افرنسية جمنا فيها كل ما يتصل بآثار النصيريين واحوالهم وسماها باسم «النصيرية في لبنان» ونشرناها في مجلة الشرق المسيحي سنة ١٩٠٢

(٤) راجع تاريخ بيروت (ص ٤٤-٥١)

بل ان نيتن بوجه الاجمال كيف انتشرت الامة المارونية . اماً تفاصيل اخبارها فليست
الآن من شأننا وقد مرّ منها كثير في الجائنا السابقة وسنورد ان شاء الله غيرها
في ما بعد (ستأتي البقية)

توفير السكّان بتقليل الموتان

لمحة صعبة وطبّة للدكتور امين افندي الجبيل

قال المسيو برواردل رئيس مدرسة الطبّ الفخري في باريس : « لنّ دعوة الطبيب لم
تعدّ في الهيئة الجامعة دعوة شفاء . فقط بل دعوة وقاية خاصّة » . وهو كلام ينشط الاطباء .
ويبعث فيهم روح الغيرة ليتداركوا المرض قبل وقوعه وينشروا الفوائد الصحيّة المانعة من
سرّيان الادواء والاسقام . وقد سبق لنا في بعض مقالاتنا المدرجة في البشير وفي
تقرير عرضناه آخرًا على دولة متصرف لبنان كلام في انفاء عدد السكّان بطريقة
الزواج وتوفير المواليد وتقليل المهاجرة آفة بلادنا الخيفة في الاوان الحاضر وذكرنا انّ
لهذه الآفة دواء بفتح موارد للرزق وقد قيل : حيث ينبت رغيف ينبت رجل وذلك
امّا باحياء الزراعة وانهاض الصناعة وترويج التجارة وامّا بتعزيز الآداب وتحبيب الوطن
واليوم غايتنا ان نبعث في مهاجرة اشدّ خوفًا واسوأ مغبةً تسوق الناس لا الى
البلاد القاصية بل الى المقابر فنبيّن طرائق الوقاية منها او على الاقل كسر شوكتها وحصر
مضارها زيد عدّة امراض يذهب كلّ سنة الوف من الناس ضحيّتها فيخلفون من
بعدهم الحشرات . وهي امراض لو اتّخذ الاهلون بعض الوسائل السهلة لنجوا من
بلاياها وآفاتنا المحيطة وازداد عدد السكّان بتقليل الموتان

﴿ الجديري ﴾ انّ أوّل هذه الاسقام المضيّة والعلل الفنيّة الجدري وكلّ
يعلم ما لهذا الداء من الايادي السود في تاريخ بني آدم فانه ملأ المقابر بفرائسه فضلًا
عنّ شرّه محاسنهم . وكان الناس يخافون الجدري سابقًا اكثر من داء الهواة الاصفر .
ولا غرو فانه كان اذا دخل بلدة اوقف حركة الاشغال وعمّم الفقر ونشر الخراب والموت .
وكان الاهلون يلتجئون لاستدراك شرّه الى آفة من جنسه فكانوا يعمدون الى صديد

يجدور ويلقحون به السليم . وهو التطعيم المعروف بالبلدي إلا أن هذا التلقيح امات
الكثيرين وكان سبباً لانتشار الداء وفشوره . وظلّت الحال على ذلك الى ان قام جَير
الشهير في اواخر الجيل الاسبق فارشدنا الى التطعيم بلقاح يُتخذ من جدري البقر فاصاب
الرمي وقطع دابر الداء . واكثر البلاد المتمدنة جعلت هذا اللقاح اجبارياً فنجت
من سوء عواقب العدوى . ولو اردنا شواهد على ذلك لوجدناها بالالوف . فانّ الجدري
مثلاً فشا سنة ١٨٧٠ في الجيش الفرنسي ولم يكن التلقيح اذ ذاك جارياً فأت من الجند
٢٣,٤٦٩ رجلاً ثم صار التطعيم قسرياً فلم يبق اثر للمرض مطلقاً بعد ذلك

ومن المقرر الآن أنّ التطعيم المسمى عندنا بالافرنجي يقي تماماً من الجدري على
شرط ان يجدد كل خمس سنوات في الاولاد وكل سبع سنين في الكبار لأن قوته
العاصمة تكاد تتلاشى في آخر هذه المدة بسبب تجديد الجسم كله . هذا ويجدر بنا ان
نستلفت الانتظار الى امر مهم وهو أنّ الحرّ في بلادنا يُفسد سريعاً اللقاح البقري فيبطل
عمله ولذلك الاولى ان يُتخذ هذا المطعوم في فصل الشتاء (راجع مقالة الدكتور نغر
في المشرق ١ : ٧٠)

﴿ الماريا ﴾ هي حُمى المستنقعات وتُعرف بالبطاسحي من افشى الامراض
وارخمها قاعبة تَعْمُ البلاد الناطقة بالضاد . امّا سببها فهو ميكروب افزوه لأول مرة
الدكتور لاقران اثناء اقامته في جزائر الغرب ومرو وصفه في المشرق (٤ : ٢٤٣) . ويظهر
هذا الداء على اختلاف اشكاله من حُمى دورية وحُمى القُب وحُمى الربع في كل
مكان تستنقع فيه المياه او تأسن بقوة الحرارة كما ترى في السواحل البحرية وضفاف
الانهار

واذا انتشر هذا الداء في مكان لا يبتقي ولا يذر . فانه فتك فتكاً ذريعاً في الجند
الاربيين لما افتتحوا افريقية والهند فعمر بهم القبور وقد قفرت به مقاطعات مأهولة
بالسكان بل بلاد واسعة كانت تُعد كاية في الحضارة والنضارة . وبسلاحه قط غلب
تألبون الاول عسكر الانكليز في جزيرة والشرن (Walcheren) فانه اذ علم ان
اعداءه عسكروا عند مصب نهر الاسكوت (l'Escaut) حيث تنفشو الماريا امر
القائد برنادوت بالأيناجزهم القتال بل يدع العدوى تعمل فيهم عملها فامر على الانكليز
عشرة أيام حتى يطش بهم الداء . ولم يزل في ازدياد حتى قذف الرعب في صدورهم

ومنحوا الفرنسيين اكتافهم بعد ان مات منهم الوف . وان حولنا النظر الى بلادنا وجدنا كثيراً من انحائها فريسة الحتى الملائية اكتسبت بذلك شهرة مخزنة ضرب بها المثل كقولهم في زوق : « زوق الخراب عين افرش له وعين غطيه » وفي عتيق : « جاب له الضيق من عتيق » وفي البوشرية : « يا طالب العافية من البوشرية » وامكنة أخرى من السواحل وضفاف الانهار بيتاً في مقالة نشرناها في جريدة الروضة سبب وبائها ووخم هوائها

فان كانت هذه حالة الملائيا وعواقبها السيئة ترى هل من دواء لهذا الداء . نحب ان هذه الحيات تنمى بوساطة عديدة منها ما هو شائع لا ينكر منافعة خير زيد الكينا التي بعد اكتشافها من اكبر نعم الله نحو عباده ومنها الاستعمار فان مدناً كثيرة وضياء أهله كانت قبل توارد السكان اليها موبوءة رديئة الهواء فصارت بعدئذ عامرة لما أكثر فيها السكن . وقد اخبرني المرحوم الدكتور سوكة ان قسماً كبيراً من بيروت الحالية كان في السابق وبيلاً وخيم المرتع وهو اليوم طيب الهواء لا اثر فيه للأمراض الويئة

ومنها الزراعة فأنها اذا انتشرت في مكان اصاحت تربته لأن النباتات عموماً والاشجار خصوصاً تمتص رطوبة الارض بمجذورها وتنقي الهواء بورقها . ومن هذه الاشجار ما هو طيب الرائحة يعطر الجو بنفحاته وينافي الجراثيم المعدية كالارز والصنوبر وبالاخص الاركاليبتوس . وهكذا اصلى الرهبان المعروفون بالترابيست محلات عديدة بالحرثة فطاب هواؤها وزكت غلاتها . وهكذا اصلى ايضا اليسوعيون في البقاع مزرعة تعنايل وكانت قبل ثلاثين سنة عشاً للحيات . فترى تما سبق عظم جناية الذين يقطعون الاشجار فبالحق يقال ان قطع الارزاق كقطع الاعناق (ويريدون بالارزاق هنا الاشجار) ومن اخص الوسائل لتلافي الحتى الملائية اتلاف البعوض (البرغش) الذي اتضح منذ زمن قريب أنه بلسه هو العامل الاكبر في نقل حتى المستنقعات وهذا لعمرى من اهم الاكتشافات الحديثة والفضل في تقريره يعود الى الدكتور رونالد روس (Ronald Ross) احد اطباء مدينة ليثربول فأنه درس الامر درساً خصوصياً وانعم فيه النظر ونشر النشرات المتعددة المبينة على اختبارات متكررة حتى اماط كل شبهة عن وجه الحقيقة . وفي السنة المنصرمة قدر العلماء قدره فجازوه بجائزة الحسن العظيم نوبل

(Nobel) قدرها خمسة آلاف ليرة فرنسيّة. وقد ذكر المشرق (٢٤٣:٤) ما كان لاحد اهل بلادنا وهو الدكتور عبد الله جبور من حسن النظر وسبق الإشارة الى هذا الامر الخطير اذ استلقت الحواطر الى وظيفة البعوض في نشر البطاحي برسالة دونها في المتقط سنة ١٨٨٤. وفي المشرق ايضاً تصاور تعرف اجناس هذه الجراثيم وكيفية امتراجها بالدم نُشرت في مقالة للدكتور الياس الحاج فلا حاجة الى التكرار

والوقاية من هذا الداء بأن تُنَشَف المستنقعات والمياه الآسنة. أمّا الحياض والبرك فتُجعل فيها الاسماك لتأكل صفار البعوض الذي لا ينشأ إلا في الماء. او يُصَب على وجه هذه الحياض قليل من البترول فيسمت الهوام. وما خلا ذلك تُثقل النوافذ المساء والصباح حين دخول البعوض. وتُتخذ الكلال والناموسيّات وقت النوم. بل صار الفعلة اذا اضطرّوا الى سكّني امكنة مبلّوة بالبطاحي لا يشتغلون إلا في منازل او خيام. تترها اقشة ناعمة ينفذ بها الهواء دون ان يدخلها البعوض

ومن اسباب الوقاية من الحُمّى المalarية ان يقضي اهل السواحل لاسيّما الأسر الوسرة فصل الصيف في جرد لبنان. لأن هذه الحُمّيات تشتد خصوصاً في السواحل مع اشتداد الحر وتكاد تنقطع في أيام البرد. أمّا اعالي الجبل فبعيدة عن هذه المستنقعات لا اثر فيها لجنس البعوض الناقل للملاريا فضلاً عما اشتهرت به من نقادة الهواء وبرودة الماء وجمال المناظر

﴿الحُمّى التيفوئيدية﴾ هي من اكبر عوامل الدمار ومن اقوى انصار الموت يكفي مجرّد ذكر اسمها لتجدد لوعات الحزن في قلوب كثيرين من اهل الوطن ومن سكّان القطر المصري على من نكبتهم به هذه الحُمّى الخبيثة. من الاحباب وما كاد يبرح عن ذكرنا وباء بيروت في سنة ١٨٩٥. وهذا الداء لا يفتك فقط في المدن وسواحل سورية فان الجبل لا يسلم من آفاته. وفي جوار قرينتنا العامرة بكفياً مزرعة صفري تعرف بالدوار تقتك بها هذه الحُمّى مع طيب هوائها حيناً بعد حين وتميت نخبة رجالها

أمّا العامل الكبير في نقل جراثيم حمى التيفوس فهو الماء ومثله الهواء الاصفر. ومن الشهادات الحديثة على انتشار الحمى بالمياه القذرة ما اقرّ به الجنرال اندره في جلسة مجلس الشيوخ المعقودة في ٢٥ ت ٢ من السنة المنصرمة: «اذا سُئِلت عن الوفيات بالحمى التيفوئيدية التي تحدث بين جيوشنا لزماني الاقرار بان سبب اكثرها المياه غير

الثقبة التي يشربها الجند». ثم اثنى على الميودي فريسينه احد سلفائه لسميه باعطاء الجند مياهًا نقيّة او مرشحات اصوليّة قتلّ بذلك عدد الوفيات بهذا الداء في ثكنات كثيرة. قال الاستاذ برواردل: «ان في مئة اصابة بالحمى التيفوئيدية ٩٩ منها يكون سببها الماء». وهو كلام حري بالاعتبار وان كان فيه مبالغه بئنة لاسيما نظراً لبلادنا التي كثيراً ما تنتقل فيها جراثيم العدوى بما كنه المصابين ومخالطتهم في الاكل والشرب واللباس كما ترى بين الفقراء. ومن رأيتهم رأي العيان شاب اسمه ز. دهمته الحمى التيفوئيدية في بيروت فعاد الى قريته وفيها توفي. فانتقل المرض الى اخوته الخمسة فذهب باعمارهم ولم يسلم من اهل هذا البيت الا الامّ مع ابن لها مكار كان في الغالب خارج الدار. وقد انحصر هذا الداء في اصحاب البيت المذكور لم يصب به غيرهم

واعلم ان العلم كان يبحث منذ سنين عديدة عن القاح الواقي من هذا الداء الذاعف حتى اكتشفه آخر الدكتور شانتس البكتريولوجي الفرنسي الشهير. وهو مصل يُحقن به المريض يستخرج من السمّ التيفوئيدية لا من ميكروب العلة نفسها. وقد قرأ عنه مقالة في المؤتمر المصري الاخير وبين حسن نتائجه

ولا بدّ ايضاً من اتخاذ بعض الوسائل الوقاية من شرّ هذا الداء. من ذلك السعي باستجلاب مياه صافية من اصل ينابيعها وحفظها في مجراها سالمة من كل الجراثيم الوسخة بأن تُغطّى القني على طول ممرها لئلا يخالطها شي من الاقذار. وهذا ما امرت به حكومتنا السنية شركة نهر بيروت وما نوّمل اجزائه في نقف تلّ مار يوسف البرج وقناة زحلة التي ستنتهي قريباً

ومن الضروريّ اللازم ان تنهى الحكومة نهياً قطعياً بان تطرح في المياه الجارية الاقذار وسماد الحيوان وعلى الاخصّ الافرازات البشرية او تجعل هذه الاوساخ في جوار الينابيع لأنّ الامطار اذا سقطت حلّتها بما فيها من الميكروبات وجرت جراثيمها الى المياه فلوّثتها

واذا لامناص للاهلين من شرب المياه الغير النقيّة كما ترى في مصر قلّلتها الى المراسح العموميّة القانونيّة (ترشيح الاحواض) على الطريقة التي ذكرناها في كتابنا «قانون الصحّة» والى المراسح البيئية على طريقة باستور نخصّ بالذكر منها مرشحة شمبلان. امّا ترشيح الماء بالزير كما هو شائع في مصر فاستعماله لا يكاد يفي بالتصود

﴿السل﴾ هو الداء العياء والجائحة المحضة التي تُنسي آفات الوغى ونوازل الدهر من المجاعات والتحط والابونة اذ انّ السل وحده يسبب خمس الوفيات في اوربة. وقد اخذ الداء يتفشى بين اهل بلادنا لاسيما منذ سرى بيننا التمدن الاجنبي الموهوم وعاد الى لبنان المهاجرون الى اميركة. ولا حاجة الى وصف السل والكل يعرفون كم هدم من بيوت عامرة وقطع من ارحام موشجة

للسل ميكروب يعرف بميكروب كوخ يسري الى الاجسام المستعدة لقبوله اما استعدادا اريثيا يخلفه الابوان للبنين واما استعدادا شخصيا به يعرض الانسان نفسه لهذا الداء العقّام سواء كان بارتكاب المنكرات او بالافراط في الاشغال او بانهاك القوى وسوء الغذاء والسهر الطويل والاحزان وكل هذه الاسباب قد فتحت في اوربة بابا واسعا لانتشار السل. وستصبح له طريقا بيتا اذا تأثرت آثارهم في سيناتهم دون حسناتهم

هذا واني اقر انّ هذا الداء اصعب وقاية من الامراض السابقة لاسباب يطول يانها وما انا اذكر سبل الوقاية التي وصل اليها العلم وان كانت لسوء الخط غير معصومة (راجع ايضا في المشرق ١١٩:١ مقالة الدكتور الفاضل حبيب افندي الدرعوني)

من احسن الطرائق المعروفة للوقاية من السل الاستحمام بالشمس فان نورها مطهر عظيم. وكذلك استنشاق الهواء الطيب بفتح نوافذ متحاذية تجري بينها الريح وتزيل جراثيمها الوبيئة فانه من المقرر انّ السل يكثر مع وخم الهواء ويقل مع نقاوته. ومن اختبارات العلامة برون سكوار انه لَقَح بعض حيوانات بلقاح السل الرنوي وتركها تتشعّ بالهواء وبنور الشمس. ولَقَح غيرها فحبسها في اكواخ مقفلة فسلم من الداء اكثر الحيوانات الاولى اما المحبوسة فلم ينج منها احد

ومن الوسائط الواقية من الداء العيشة المرتبة والاغذية القوية لاسيما اللحم الني الذي يبين فوائده آخر الدكتوران البارغان ريشه ولاندوزي. وعليه فتكون «كبتنا النية» من المآكل الواقية من السل فبارك الله بها

ومما يجب ان يعتاده الجمهور الامتناع قطعيا من البصاق في الارض وبالحصوص في الاماكن العمومية والحال المأهولة لانّ بصاق المصابين بالسل مملو من جراثيم التدرن التي تنتشر في الهواء ومنه تتصل الى الصدور والرنات ولذلك ترى في اوربة الاعلانات

العمومية تحذر الناس عن البصاق في الارض. وقاما الله من هذا الداء. وقبيح معرفته
 ﴿موت الاطفال﴾ ان للموت في الطور الاول من حياة الانسان فتكاً. ذريعاً
 تشهد عليه الاحصاءات المدققة في البلاد الاوربية والاختبار اليومي في بلادنا. ومن ثم
 قد وجه العلماء نظرهم الى هذا الامر المهم واعملوا فيه الفكر والروية حتى تحققوا بعد
 البحث ان امثل الوسائل لتقليل موت الاطفال رضاعة الام لولدها. وقد راقب الاستاذ
 بيدن مئة طفل يفتنون بحليب امهاتهم ومئة آخرين ممن يفتنون بطرائق أخرى صناعية
 ثم كرر اختباراته فوجد انه في السنة الاولى وحدها من الحياة لا يتجاوز عدد وفيات
 الاولين اربعة في المئة. بينما يبلغ في الآخرين ٧٠ بل ٨٠ واكثر في المئة على حسب
 الابتعاد من الطريقة الطبيعية. فاخذ من ثم الاطباء. يفرغون كنانة الجهد لتنشيط
 الارضاع الطبيعي فكتبوا في ذلك القصول العديدة ونشروا المقالات المسبهة وعلقوا
 الاعلانات في النوادي العمومية. وانشأوا الجمعيات الخيرية وشكلوا اللجان الصحية
 لوقاية هذه الزهور الغضة التي منها يتكون رجال القد حتى ظهر مفعول هذه الحركة المشكورة
 ففي باريس بعد ان كان عدد وفيات الصغار سنة ١٨٩٢ ثلاثة آلاف وخمسمائة تساقط
 بعد عشر سنوات حتى لم يتجاوز في سنة ١٩٠١ الفا وتسعمائة وخمسا وسبعين

ومن ثم نشد الله الامهات ان لا يذخن وسماً في ارضاع اطفالهن. ولا يطعننهم
 قبل الاوان مأكلاً آخر لا تهضمه معدهم ولذلك زى كل ام تخالف ترتيب العناية
 يقاضها الله بان يكون ولدها ضعيف البنية مهزولاً وربما ادى فعلهن الى قتل اولادهن
 وما المسؤول بذلك غيرهن. ولتعلم المرضعات ان وقت التسنين وفي ايام الحر خطراً
 اعظم على الاطفال. والحر كما لا يخفى يؤثر في وظائف الحياة لاسيما الهضمية فتكثر
 الاختلالات والتعفنات في حليب الام بعد خروجه من الثدي. وكذلك يؤثر في بنية
 المرضعات قلة النوم وغزارة العرق والافراط من اكل الخضرة والفاكهة وشرب المشروبات
 فيتأثر الطفل من احوال امه وكثيراً ما يذهب ضحية سوء تديرها. قال السيوطيون
 رئيس قلم الاحصاء في فرنسة: «ان ولايتنا الجنوبية البحرية التي يشتد فيها الحر
 تحترق خمسة عشر الف ولد في كل سنة ايام القيظ بالزيادة عن بقية الولايات» فان
 كانت الحال كذلك في فرنسة حيث الحر اقل والعناية بالاطفال اعظم فاقولنا في
 سواحل سورية وعموم الديار المصرية حيث يحتدم القيظ وتتوعد سائمه وتكثر الرطوبة

ونسيل من الجسم مسايل العرق. افليس الى هذا العامل تُنسب في بلادنا وفي القطر المصري خصوصاً كثرة وفيات الاطفال
نعم انْ لموت الاحداث اسباباً أخر لا يمكننا الآن ايضاها. وقد اكتفينا بالذر
القليل طالبين في الحُتام منه تعالى ان يرشد اهل الوطن الى اتخاذ الوسائل الصحية التي
عليها تنوَّق سلامة البنية ونقي الاسقام. نخصُّ منها بالذكر النظافة والعيشة المعتدلة
النظمة لاسيما في الصغر ووقت الشباب. لئلا ياكل الشاب الحصرم فيضرس بالشيخوخة
بل يضرس بسبب اولاده كما نرى في داء الزهري وفي السكر. وربما امتلاً الاثنا. قبل
الشيخوخة فيطفح ويفيض بفتة وما كل مرة تسلم الجرّة

نظر

في اخصّ العاديات المكتشفة آخرًا في سورّة

لاب لويس جلابرت اليسوعي

لا يزال قرأء المشرق يلحون علينا بالسؤال ان نفيدهم عمّا يستخرجهُ اصحاب
العاديات من الدفائن المطمورة في بلادهم. ولا غرو فان هذه الكنوز الاثرية اصدق
شاهد على احوال الوطن السالفة واوثق مؤرخ سطر لنا اخبار الفايدين بل خلّد ذكرها
بجهرها في الصمّ الصلاب بحيث قويت على قوارع الدهر وقامت بعد قرون متعدّدة
نجرها بلسان حالها عن بعض مآثر الاقدمين

هذا ولا ينتظرُن القارئ منّا ان ننسج في هذه الاكتشافات ونظيل فيها الشرح
فان ذلك يقتضي مجلّدات ضخمة ولكن نلخص ممّا ورد في المجلّات الاثرية الكبرى
ما زاه حقيقاً بالذكور مفيداً للمطالعة علّه يثير الرغبة في قلوب البعض بان يدرسوا هذه
الآثار درساً نفعاً ويزيدوا حجرهم في بناء صرح العلوم الشاهق (١)

(١) وكأ نود ان ندون في هذه المقالة شيئاً من اكتشافات بلاد فلسطين لولا ان ذلك
يؤدي بنا الى الطول. فنحيل القراء الى المجلّات الفلسطينية الخاصة المكتوبة بالفرنسية والالمانية
والانكليزية. وفي المجلة الكتانية (la Revue Biblique) خلاصة هذه الاكتشافات تصدر في
كل ثلاثة اشهر

١ عاديات فينيقية

نبتدى أولاً بذكر ما وقف عليه العلماء من آثار الفينيقيين لما في اكتشافها من الخطر وعظم الشأن لأن تاريخ سوربة في الطور الفينيقي كثير الشبهات قليل الحقائق الراهنة. والعلماء يتلقون بصوات الفرح كل أثر وإن صغيراً يسمح لهم بأن يسبروا غور هذه الامة العظمى

واعلم أننا مع مراجعة المجلات الخصوصية قد اتخذنا لنا اماماً في الآثار الفينيقيّة الاثري الشهير الميوكلمون غانو (M^r Clermont - Ganneau) وقد حاز في اكتشاف هذه الآثار قصبة سبق قتره مع وصفه بقية الحفريات الشرقية وكتابات عنها لا يزال يفرّد الفصول المطولة للآثار الفينيقيّة وفك أسرارها وبيان فوائدها

١ (انصاب أم العواميد) من اعظم الاكتشافات الفينيقيّة التي اكسبت الميوردان شهرته آثار أم العواميد (١) أو أم العمّد وهي قرية صفرى قرية من البحر جنوبي صور عند مصب وادي حمول. وقد نالت هذه العاديات شهرة جديدة باكتشافات مستحدثة متوالية جرت آخرها. واهم هذه الحفريات نصب جميل من القرن الثاني قبل المسيح عليه كتابة ونقوش. أمّا الكتابة فلا تريدنا علماً كبيراً على ما كنّا نعرفه سابقاً من احوال فينيقية على عهد البطالسة وأمّا النقوش فهي غاية في الغرابة كما سترى

وقد جاء في الكتابة الفينيقيّة ما معرّبهُ: «هذا النصب ذكر لبعلتين بن بعلتين الرب» فلا يستفاد من هذا الكلام الوجيز شي. يُذكر لأن اسم «بعلتين» علم معروف. والرب بالآرامية العظيم والسيد. ولعل هذه اللفظة تدل على رتبة بعينها لم نعرف حقيقتها حتى يومنا

أمّا النقوش التي ذكرنا خطر شأنها فانها تمثل قرص الشمس مجنحة على جانبيها علامتان رمزيتان على شكل الحية تُدعيان اوريوس (uræus) ومن تحت هذه النقوش صورة ثالثة لرجل غير ملتج. يرى رأسه من الجانب الايمن وثلاثة ارباع شلوه المكسور وهو لابس رداء طويلاً واسع الطيات مشدوداً بمنطقة خفية ونازلاً الى

القسم الأدنى من جسمه . ويده اليمنى مبسوطة الى الامام على علو ذقنه كما كان القدماء يصوّرون السّجّد . امّا الشمال فيها يسك صورة ابى الهول المصريّة وابو الهول هذا متوجّج باكليبيه المعروفين وبين مخالبه مجمرة يحرق فيها الطيب ١)

وللرجل الذي وصفناه قلنسوة مستديرة متوسطة الكبر مائلة الى الخلف على شكل التمايل التي تُرى في مدافن تدمر . ومن اسفل القلنسوة من وراء الاذن تخرج خصل قصيرة من شعره تغطّي عنقه الثخين البارز من اعلى ردايه المفتوح . ومن انعم النظر في وجه الشخص وجده مخلوق العارضين والشوارب وتحتق انه رجل مُسنّ قويّ الاواح شاحب اللون ذو هيئة حيّة مؤثرة يكاد ينطق بفيه

وهذه النقوش العجيبة التي تشبه بدقّتها الصور المصريّة المكتشفة حديثاً في نواويس النيرم فوق رؤوس الموميا تمثل لنا صورة احد الفينيقيين في ذلك العهد العهد وتفيدنا عن سحنة اهل ذلك العصر ولبسهم مع كثير من احوالهم

وما مرّ على هذا الاكتشاف زمن قليل حتى شغفه اكتشاف آخر لانصاب جديدة وجدت في امّ العواميد افاض في ذكرها المسيو هوزي (M^r Heuzey) في الجلسة التي عقدها في ١١ نيسان سنة ١٩٠٢ اكدامية الكتابات والفنون . وبين هذه الانصاب والنصب الموصوف آتفاً تشابهٌ ظاهر وان كانت دونهُ في دقّة الصناعة ٢)

والاثر الاول يمثل تمثيلاً غير متقن شخصين احدهما رجل لابس لبس الفينيقيين والاخر امرأة مقنّعة على هيئة نساء اليونان

وقد وصف المسيو هوزي تماثلاً آخر اكتشف في المكان نفسه فيه صورة رجل فينيتي يُرى اعلى جسمه الى منطقته وهو في لبسه وهيئته وحركاته كمثل الشخص المصوّر في نصب المسيو كلرمون غانو

وذكر الموما اليه دميةً ثالثة وهي امرأة منتصبّة على هيئة السجود تشملها ملاءة تنحدر من اعلى راسها الى اكتافها يزيّ حسن . وفي القسم الاسفل من هذا الاثر

(١) راجع المجلّة الاثرية (RA., 1902, I, 200-207 et Pl. XXXI) ثم مجموع الآثار

الشرقية (RAO, V p. 1-8, Pl. I et II; 87-86 Pl. V)

(٢) راجع المجلّتين السابقتين (ص ٢٠٢ و ٨٦:٥)

امرأتان عليهما مئزران الى ما فوق صدرهما كهادة المصريات قديماً تراهما جاثيتين على الركب الواحدة بازاء الاخرى ويبد كل منهما اناه بلا عرى تصبان منه الماء على نبات مقدس غرس في وسطهما

وقد غني المسيو هوزي بشرح اسرار هذه الانصاب الثلاثة ودقق البحث عن كل قسم منها وقابلها مع الآثار المعروفة قبله ليستخلص منها معانيها الحقيقية ومع افراجه مجهوده في ذلك لم يتمكن من حل رموزها. لكنه يبين أن في صناعة هذه التماثيل مسحة من فنون المصريين والكلدان واشارات الى عقائد تنك الامتين فضلاً عما يلوح فيها من الطرائق التصويرية الجارية عند اليونان واهل آسية

ومع هذه الانصاب التي وصفها المسيو هوزي انصاب اخرى قد ذهبت رسومها واتحت تصاورها ووجدت في المحل ذاته وهي اليوم في متحف اللوفر. وكل هذه الانصاب غفل لا كتابة عليها وإنما وجد معها حجارة اخرى فيها اربع كتابات فينيقية جد المسيو هوزي في تفسيرها مع احد رصفانه. ثم عاد المسيو كلرمون غانو واعمل فكره النقاد في هذه الآثار فحسن واكمل واصلح الحلل لاسيما في احدى الكتابات التي قرأ مضمونها على هذه الصورة: « لبعيلين ابن عبد هور ملك عشترت (١) »

ولو اردنا ان نلخص كل ما كتب عن هذه الآثار لطال بنا الكلام فاكثفنا بالاشارة ليعرف القراء كم يسعى الاثريون الفرنسيون في تعريف الآثار الفينيقية

٢ (هيكل اشمون في صيداء) بلغ مسامع صاحب السعادة حمدي بك متولي مظارة المتحف العثماني في الاستانة العلية أن بعض الاهلين اجروا في جوار صيداء حفراً خفياً على غير نظام استخرجوا به بعض الكتابات الفينيقية. فكتب للحال الى جناب مكريدي بك وهو اذ ذاك في بلبك ينظر باسم الحكومة السنية اعمال البعثة الالمانية ووكل اليه بان يبحث عن اصحاب هذه الحفريات غير القانونية واذا استصوب الامر بان يجري بنفسه في صيداء حفراً منتظماً لعلّه يجد آثاراً أخرى يرسلها الى المتحف العثماني العامر

(١) راجع المجلة الاثرية (R A, 1902, Mars-Avril, p. 200 - 206) ومجموع المسيو كلرمون غانو (R A O, V. 85 et 148-156)

فاسرع مكر يدي بك الى صيدا. وبعد البحث اللازم تحقق صحة الخبر وباشر الحفر على مقتضى الاصول الهندسية لئلا تتلف الآثار بسوء العمل وقد اسعدهُ الحظ على وجود هيكل جميل يُعرف بهيكل الاله اشمون ولما انتهى من الحفر ارسل تقريراً يبين فيه ماجريات العمل ونتائجهُ ومع التقرير رسوم وتساوير للعالمين الالمانين شولتز (Schultz) وكنكر (Krencker). ونحن نختصر هنا هذا التقرير مع ما كتبه عن هذه الحفريات حضرة العلامة الاب لكرنج الدومنيكي في المجلة الكتابية والسيو كلرمون غانو في مجموعهِ الشهير للآثار الشرقية والسيو فيليب برجه (Ph. Berger) في مقالة نشرها في مجموع الكتابات والفنون (١)

وموقع هذا الهيكل في البستان المعروف اليوم ببستان الشيخ على منعطف ربوة فوق وادي نهر الاولى قريباً من مصب هذا النهر على مسافة نحو كيلومترين و ٣٠٠ متر شمالي صيدا. فكان اذن الهيكل المذكور خارجاً عن المدينة مهما بولغ القول في اتساعها القديم. وهو يتركب من سور مربع مستطيل بُني بنحيت الحجارة وحجارته ضخمة محكمة الوضع. وكان السور المذكور موازياً لاربعة نواحي المعمور طوله من الشرق الى الغرب نحو ٦٠ متراً وعرضهُ من الشمال الى الجنوب نحو ٤٤ متراً. وهذا السور كان يدعى الحرم كما يُرى في أكثر معابد الساميين ومثله في القدس الشريف وفي الشيخ بركات وفي حصن سليمان. وفي وسط السور كان المقدس او مقام الالهة وحوله ساحة متسعة. وهذا المقدس لم تُكتشف حتى الآن آثارهُ. لأن الحفر لم يتم بعد ولكن لاشك في وجودهِ

وما يزيد هذا الاكتشاف شأن كتابات فينيقية تجدينا عدة فوائد لتاريخ فينيقية ومن غريب الامور ان هذه الكتابات لم تكن على وجه الحجارة الظاهر بل على وجهها

(١) Macridy Bey: *Le temple d'Echmoun à Sidon* (RB., 1902, راجع p. 488-515 et 1903, p. 69-77 = R. P. Lagrange: *Notes sur les inscriptions trouvées par Macridy Bey* (Ib. 1902, 515-527) = Clermont-Ganneau: RAO., V. p. 217-276 = Ph. Berger: *Mémoire sur les inscriptions du temple d'Esmoun à Sidon*, Extrait.

الحقي الواقع فوق الحجارة السفلى بحيث لم يمكن الاطلاع عليها ألا بتقضى الحجارة والفصل بينها. وقد استدلوا بذلك على أن الكتابات التي شاعت قبل الحفر القانوني والتي كان العلماء في ريب عن صحتها إنما هي صادقة. وهذه الكتابات كلها عبارة عن نسخ متعددة لنص واحد ألا أن بعضها أكل من البعض على قدر الحجارة. وعددها ست كتابات او سبع

وقبل ان نذكر مضمون هذه الكتابة لا بد أن ننبه القراء على مناظرة جرت بين العلماء فإن بعضهم وفي مقدمتهم السيوفيليب برجه يزعم ان الهيكل وابنيته يرتقي الى عهد الكتابة وتاريخها. ويؤمن غيره وهو الرأي المرجح ان هذه الكتابات اقدم عهداً من الهيكل وإنما كانت في هيكل سابق ظاهرة في واجهته فلما خرب الهيكل الاول اتخذت مواد لبناء هيكل جديد فنصبت الحجارة على هذه الصور غير القياسية

وان سألت الآن عن مضمون الكتابة قلنا ان فطاحل العلماء تسابقوا في فك مشكلاتها نحض منهم بالذكر حضرة الاب لكرنج والسيو كرمون غانو والسيو فيليب برجه فسروها كل واحد وحده دون ان يطلع على تفسير الآخرين. ألا ان مقالة كرمون غانو ظهرت بعد مقالة رصيفيه فناخذ تفسيره ثم نود الى الاختلاف الذي بين شرحه وشرح العالمين الآخرين. قال ان في هذه الكتابة ثلاثة اقسام نشير اليها بثلاثة حروف الابدائية (ا ب ج) :

الملك بدعشترت ملك الصيدونيين
حفيد الملك اشمنزر ملك الصيدونيين

بصيدون البحر
بشم رسم
بارض رسم
بصيدون مثل
التي بناها (?)
وبصيدون البر

بني هذا الهيكل (كله ؟)
لمعبود اشمون سارقدهش

ففي هذه الاقسام الثلاثة (ا ب ج) قد اتفق العلماء على شرح القسمين الاول والآخر (ا ج) الا القليل وفيهما معنى تام . اما القسم الثاني (ب) فالآراء فيه متضاربة . فان المسو برجه شرحه هكذا : « بصيدون البحرية خاصة السماوات العليا ارض الرسفيم صيدون المالكة » وقد فسره حضرة الاب لكرنج بنوع آخر فقال : « بصيدون في يوم شمس رمم اب صيد الذي هو صيدون كما بناها صيدون الملك » فترى ما بين الروايات الثلاث من الاختلافات الذي لا نتعرض للحكم بينها . وقد اتى آخر المسو هالتي (M^r Halévy) بشرح رابع في المجلة السامية (١٩٠٢ ص ٣٤٧ - ٣٦٧) فزاد الامر التباساً وهما كان من امر هذا القسم الثاني فان ما تقرّر وثبت من قسميها الآخرين غاية في الاهمية لتعريف سلسلة ملوك صيدا الفينيقيين . وقد كان سعادة حمدي بك نهج الطريق لبيان هذه السلسلة باكتشاف ناووس احد ملوك صيدا وكانت عليه هذه الكتابة التي حلها المسو فيليب برجه (١) : « انا تبنت كاهن عشترت وملك الصيدونيين ابن الملك اشمنعزر كاهن عشترت وملك الصيدونيين المضجع في هذا الناووس . . . » فالكتابة الجديدة التي نحن في صدها تؤيد صحة كتابة ناووس الملك اشمنعزر الذي اكتشف سنة ١٨٥٥

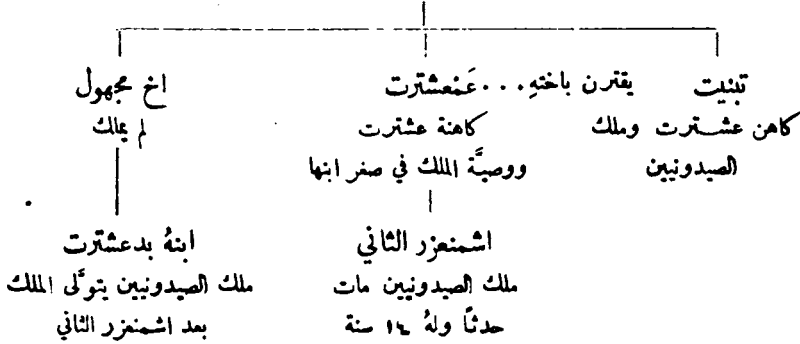
ومن الاكتشافات القديمة كنعاناً عرف ان اشمنعزر (الاول) ولد تبنت وعشترت قزوج تبنت اخته عشترت فولد لها ابن يدعى اشمنعزر (الثاني) . ثم يؤخذ من الكتابة الحديثة ان « بدعشترت هو حفيد اشمنعزر » . فترى اي اشمنعزر هو المراد الاول او الثاني ؟ . فقد ارتأى المسو برجه والاب لكرنج بان المراد هو اشمنعزر الثاني . ولكن اذ كان لا يُنكر ان اشمنعزر الثاني مات في الرابعة عشرة من عمره بلا ذرية قالوا ان بدعشترت ليس حفيداً لاشمنعزر الثاني بل هو ابن عمه . اما المسو كرمون غانو فانه يوتأي بخلاف ذلك ان بدعشترت حفيد اشمنعزر الاول وهو يجعله

(١) المجلة الاثرية R. A. 1887, II, 109. فترى لطف سعادة حمدي بك الذي نشر خبر اكتشافه لأول مرة في مجلة افرسية وكذا صنع آخر اجاب مكردي بك . وبذلك يظهر جلياً ما بين علماء دولتنا العلمية والعلماء الفرنسيين من الصلات الحسنة . وزد على ما تقدم انه برز في العام الماضي كتاب عن « ندفن صيدا الملكي » (La Nécropole royale de Sidon) نشره حمدي بك بمعية ت . ريناخ

ابناً لا لتبنيته لكن لآخره مجهول لم يملك فتولى ابنه هذا بدعشترت زمام الملك بعد
اشمنعزر الثاني المتوفى صغيراً كما ترى في هذا الجدول:

اشمنعزر الأول

كاهن عشترت وملك الصيدونيين



فهذه السلسلة للملك صيدون تسدُّ خللاً كبيراً في التاريخ اذ تعرف تعريفاً أكمل واثم
دولة اشمنعزر وسلالته من بعده. امّا زمن هذه الدولة فقد اختلف فيه الكتبة وكانوا
يظنون سابقاً انهم ملكوا في القرن الحادي عشر قبل المسيح. ثم جاءت الاكتشافات
الاثرية فبينت بطلان هذا الزعم حتى قال البعض ان هذه الدولة تولّت زمام الملك على
صيدون بعد الاسكندر اعني بين سنة ٣٣٢ و ٢٧٥ قبل المسيح (١) ثم اعاد العلماء
النظر في هذا الامر. واليوم عاد العلماء فبحثوا بحثاً اداق في الامر واستنتجوا ان اشمنعزر
وذريته سبقوا عهد الاسكندر اعني ملكوا في القرن الرابع او الخامس من قبل
المسيح (٢)

هذه نبذة وجيزة تنبئ القراء بما حصل عليه علم العاديات الفينيقية من الترقى في
العام الماضي. وقد بقي علينا ان نبين ما اكتُشف في العام نفسه في بلاد الشام من
العاديات اليونانية والرومانية ننشره في عدد آخر ان شاء الله (له بقية)

(١) هذه نتيجة مقالة للمسيو فيليب برجه عنوانها: « L'archéologie et l'épigraphie »

طبعها سنة ١٨٧٧

(٢) وهو رأي فيليب برجه في مقالته الحديثة ورأي حضرة الاب الكرنج في المجلة الكتابية

(R B., l. c., p. 521-525)

مطبوعات شرقية جديدة

لصاحبها هاسانو بار باهلول

معجم الحسن بن جلول بالريانية

Lexicon Syriacum auctore Hassano Bar Bahlul

e pluribus codicibus edidit et notulis instruxit

Rubens Duval. Parisiis, 1898-1901

إن نطاق الدروس السريانية لا يزال كل يوم يتسع اتساعاً عظيماً بقدر ما يستخرج العلماء من كنوز هذه اللغة المدفونة فينشرونها بالطبع. وقد امتاز بين انصار السريانية احد المستشرقين الفرنسيين المسيو روبنس دو فال فاحرز له اسماً طيباً يُثني عليه بالخبر كل محبي الآثار الآرامية. ومن التأليف التي يعود اليه الفضل بنشرها هذا المعجم السرياني الذي طالما تشوق الادباء الى الاقتباس من فرائده ألا وهو معجم الحسن بن جلول الاواني الطيرهاني الذي صنفه في اواسط القرن العاشر. ولد المذكور في اوانة من قري تكريت ودرس مدة في بغداد وألف كتابه بعد مراجعة المعاجم السريانية التي سبقت زمانه اخضها معجم حنين بن اسحاق ومعجم ابي يحيى زكريا المروزي ومعجم عيسى بن علي تلميذ حنين فجمع فوائدها الشتي وادرج فيها الالفاظ الدخيلة في السريانية لاسيما المتقولة عن اليونانية. ومن خواص كتابه انه دل على الموارد التي اخذ عنها وزاد عليها الفاظاً وشروحاتاً بالسريانية والعربية لم يسبقه اليها غيره. وكانت خزان الكتب الادريئة تصون عدداً وافراً من نسخ هذا المعجم مستخفا ايدي النساخ وزادت عليها ونقّصت فراجعها المسيو دو فال وقابل بينها بعد العناية الطويل والشغل الشاغل حتى انتهى من عمله بعد اربع سنوات ونشره في مطبعة باريس العمومية في نحو ٢٤٠٠ صفحة. ولم يكتفِ بنشره بل صدره بالمقدمات الفيدة والحقه بالفهارس الواسعة وحشاه بالحواشي التي تشهد له بطول الباع في معرفة اللغة السريانية. فنشكر هذا العلامة الفاضل باسم كل الطواقف الشرقية السريانية على الخدمة الجليلة التي اداها لآداب السريان ومعارفهم بنشره هذا المعجم ونحضر كل من يريد احكام هذه اللغة الا يحرم نفسه منه

كتاب تاريخ بيروت

واخبار الامراء البُختريين من بني الغرب لصالح بن يحيى

سعى بشره وعذيب عبارته وتلحق حواشيه الاب لويس شيخو البسوي (١٩٠٢ ص ٣١٥)

ان من طالع اعداد السنتين الاولين من مجلّة المشرق امكنه ان يتحقّق ما يحتمل
هذا الكتاب الفريد من الفوائد الجمّة عن تاريخ بيروت ومقاطعات لبنان الغربية
كالغرب الاقصى والغرب الشمالي والغرب الاعلى وما يليها من النواحي كالشعّار والمناصف
والعروبة. ومما يزيد هذا الاثر خطراً ان كاتبه صالح بن يحيى صنّفه في زمن لم نكد
نجد فيه ذكر لبنان في غيره من المؤرخين واستند في روايته الى اصدق الموارد واحقها
بالاعتبار وهي المناشير السلطانية والكتابات الرسمية التي وقف عليها بين آثار اسلافه.
فجمعها في هذا الكتاب وجعلها تذكرة لامراء الغرب وقد كتب ما كتب بسذاجة لم
يتحرّ بعمله سوى افادة أسرته الشريفة ومراعاة حقوق التاريخ « فلم يكن (كما قال في
فاتحته) مغالياً في السلف فيصفهم بازيد مما فيهم ولا حسوداً فينتعهم بما ليس فيهم ».
وكان المؤلف اراد ان تبقى هذه التذكرة « كوقف على البيت لا تخرج عن الحلف ولا
تعار لغيرهم » لظنه « ان لا احد ينتفع بها غير اربابها ». فكان الامر على خلاف ما
ظن واسعدنا الحظ على استخراج هذه الدرة اليتيمة من صدقتها بزيد خزنة كتب
باريس حيث نقلها تيار الدهر فنجت من ايدي الضياع. وقد نشرنا هذا التأليف تباعاً
في المشرق وعلّقنا عليه التعليقات الموسعة التاريخية والجغرافية واللغوية ليعمّ بذلك نفعه
وتظهر فوائده. ثم خفنا ان يصعب النظر فيه وهو متفرّق في اعداد المجلّة فجمعناه في
مصنّف مستقل على حجم اصغر واضفنا اليه ثلاثة ملحقات اولها منقول عن تاريخ ابن
سباط تامة لخبار بني الغرب والثاني مداره عن احوال بيروت من عهد المؤلف الى
ايامنا. اما الملحق الثالث فهو يتضمّن استدراقات وفوائد مع اربع فهارس تيسيراً
لادراك مطالب الكتاب هذا فضلاً عن رسمين يزيّنها احدهما شجرة نسب بني بخت
امراء الغرب والآخر رسم خارطة بلاد الشوف وخصوصاً بلاد الغرب نقلاً عن خارطة
للمهندس البارع عزتو يوسف افندي افيتموس

﴿ خلاصة أعمال شركة القديس منصور دي پول في بيروت عن سنة ١٩٠٢ ﴾

هي السنة الثالثة والاربعون لعهده تأسيس هذه الشركة المقدسة ومن راجع برنامجها الجديد تحقّق أنّها لا تزال راقية معارج التقدّم والنموّ بهمة رئيسها المهام الفيكونت فليب دي طرازي وبحسن مساعي اعضائها العاملين في دوائرها الخمس. وقد نالت في العام الماضي التفاتاً خصوصاً من مكارم قداسة الحبر الاعظم الذي قدّر أعمال الجمعية قدرها ونشط ذويها بمنحهم البركة الرسولية. ومن مضمونات البرنامج في هذا العام فضلاً عن الداخل والخارج لحة من ترجمة السعيد الذكر البطريك بطرس الرابع الجريجيري مع سيرة رجل الخير فرديريك اوزتام منثني شركة القديس منصور دي پول. فهنيئاً للجمعية ونتمنى لها كل نجاح

ل. ش

مطبوعات أرسلت الى ادارة مجلة المشرق

- 1 La science de la religion et la science du langage d'après Max Muller, par F. Prat s. j. Louvain, p. 28, 1901.
- 2 Les fêtes Mariales de 1904, réflexions et projets par R. N. de la Broise et A. du Bec-Boussay, *Extraits des Etudes* 1902.
- 3 Guérison subite d'une fracture, récit et étude scientifique (p. 48) وهو بحث علمي ثلاثة أطباء باجكيين عن شفاء عجيب حدث لرجل كسج اسمه بطرس دي رودر (de Rudder) باستحمامه في حوض سيدة لورد فانجير بقعة عظم ساقه المكسورة بشفاعة البتول بعد ان ضاق ذرع الأطباء عن شفاء دائه واقرارهم بمجزم
- ٤ مبادئ العربية للمدارس الابتدائية - في الصرف والنحو للمعلم رشيد افندي الشرطوني. طبعه ثانية مصححة. بالمطبعة الادبية (ص ٨٨ ١٩٠٢)
- ٥ ترجمة حياة البطربرك مكسيموس مظلوم بالفرنسية لحضرة الارشمندريت منسيور الكسيس كلاب. طبعت بمطبعة البروفندا سنة ١٩٠٢ (ص ٢٧)

شذرات

﴿ وشن او إشان الأعواد ﴾ قد بشرت بعض المجلات والجرائد العلمية العربية قراءها بنجبر اكتشاف ٤٠٠ لوح من الاجر البابلي على يد علماء الالمان من اللجنة الشرقية وبان في تلك الاالواح مباحث عزيزة في آداب تلك اللغة ومؤلفاتها المدرسية وقد ذكرت تلك الصحف نقلاً عما نشره الافرنج ان ذلك كان في محل من

بقايا بابل وقد اختلف كتبة الجرائد في كتابة اسمه فمنهم من قال: «نشان الاسود». ومنهم من دعواه: «نیشان الاراد» (؟). ومنهم من اطلق عليه اسم «نیشان الأود» وغيرهم غير ذلك. أما الرواية الصحيحة فهي: «إشان الأعواد» ويُريد الاعراب بالإشأن كل ما ارتفع من الارض والبعض منهم يُسَيِّيه «بالتل» ايضاً ويجمعون الاشأن على أشن (eucheun) ومنهم من يقول في المفرد «وَشَان» ويجمعها على «وَشْن» والكلمة الاصلية الفصيحة هي «وَشْن» وهو ما ارتفع من الارض. وقلب الهززة وأواً وبالعكس امر مشهور عند العرب (المزهر ١: ٢٢٣) ألا ان اعراب العراق قد خُصُوا كلمة «الآشن» بالتلال المتقومة من انقراض الآثار العادية. ولهذا تَسْمَعُ أسماء تلال كثيرة تبتدى بكلمة «اشأن» وقد جمعت منها أكثر من مائة اسم من هذا القبيل وعليه فَلَمَن لا يسمع السفر الى بابل ليتحقق صحّة اللفظ من بدو تلك الناحية ودهانها «ليكتف بمطالعة المشرق ويرفضه والله يهدي من يشاء»

الإيطوريون قد ذكر حضرة الاب الفاضل لامنس اليسوعي الإيطورين غير مرة في المشرق (من ذلك ٢: ٢١٥ و ٦: ٨٢٤ الخ) ويَن بدلائل لامعة ساطعة انهم كانوا من القبائل العربية او الارمية التي مدت جناح سطوتها على البلاد الواقعة جنوبي دمشق وشرقيها وان ايطورية في الاصل توافق بلاد اللجأ وجيدور الحالية. الى غير ذلك من الفوائد الجليلة. ألا انه لم يبحث عن اصل هذه التسمية ومعناها وعريتها الاصلية فإتماماً للفائدة اقول: ان حضرة الاب كتب اسمهم مرة بصورة «ايتورين» (المشرق ٢: ٢١٦) ومرة «ايطورين» (المشرق ٥: ٨٢٤) والاصح في كتابتها «الإطُورين» او «الإطُورين» ومعنى اللفظة «الجبلون» اشارة الى منشأهم لانهم كانوا في الجبال الصخرية الواقعة في شرقي دمشق المعروفة اليوم باسم «جبل حوران» او جبل الدروز واللجأ ومعنى «طور» بالعربية كما في سائر اللغات السامية «الجبل» ومعنى «إ» أو «أي» «ال» التعريف. وذلك ان اداة التعريف عند اهل تيا. هي «الهاء» كما في العبرية ثم نُقلت الى الهززة لما بينهما من المقاربة في الحرج. وكان حق هذه الهززة ان تُفتح تبعاً للاصل ألا ان بعض قبائل العرب كقيس وربيعة وقيم كانت تكسر المضموم او المفتوح ايناً وقع فيقولون مثلاً رَحِم وريغف ويعبر بكسر اوائهن والاصل الفتح كما هو مشهور. وكل كلمة مبدوءة بهززة مكسورة اذا واقتها

كلمة عبرية من لفظها يكتبها العبريون بالياء. ولذا يكتبون «إيطورية» هكذا: ^{הטוריה} ثم ان لفظه «جيدور» ليست إلا «بيطور» نفسها مصحفة على لغة من يقبل الياء جيمًا مطلقًا سواء كانت تلك الياء خفيفة او مشددة وفي الاول او في الحشو او في الطرف (التاج في أوّل باب الجيم ٧٢: ٢) ثم وقّعوا الطاء وجعلوها دالًا وذلك لان هذه الاحرف الثلاثة اعني الزاي والسين والصاد تتعاور كما تتعاور التاء والدال والطاء. (المزهر ١: ٢٢٩) مع ذكر امثلة كثيرة. فصارت «جيدور» باعادة الفتح الى اصله. فقد بر

(المشرق) ان اشتقاق ايطورية من الطور ملاحظة حسنة سبق المستشرقون فاشاروا اليها. اما بقية الفوائد فجديرة بالاعتبار بيد اننا لا نقطع بصحتها. وكذلك لم يحكم العلماء حكمًا فصلًا في التوجد بين «جيدور» و«ايطورية» لانّ معاملة «جيدور» بلاد سهل اما «ايطورية» فعلى قول حضرة الاب انتاس معناها الجليثون. هذا فضلًا عما بين الكلمتين من التباين في اللفظ .

العرب في رودسية  قد نشر حديثًا المستر ستني لان بول في المجلة الانكليزية (Proceedings of the Royal Irish Academy) كتابة عربية وجدت منذ عهد قريب في جنوبي افريقية في بلاد المتابلي من اعمال رودسية. والكتابة المذكورة تاريخ ضريح احد المسلمين اسمه سلم بن صالح التوفى في سنة ٩٥ للهجرة الموافقة لسنة ٧١٣ للميلاد. وقد استدّل العلماء بهذا الاكتشاف على ان العرب دخلوا جنوبي افريقية منذ القرن الاول لتاريخهم واستعمروا تلك البلاد القاصية مدة قرون عديدة وتاجروا مع الزنج من اهلها. واليوم صار اصحاب الآثار ينسبون اليهم ابنية عظيمة ترى في تلك الجهات اخرجتها كانوا من ذي قبل في ريب في بناتها ظنّ البعض انها من عهم قديم سبق تاريخ المسيح وقد بالغ غيرهم في قدمها حتى نسبوها الى عهد سليمان (راجع المجلة الأثرية ص ٦٣ من السنة الحالية)

اسئلتها جيت

س سأل حضرة القس انطون صابر هل توجد مستحجرات من ذوات الثدي وهل تُعرف مدتها لانه قرأ في كتاب مشهد الكائنات (ص ١٧٤) ان « ذوات الثدي قل ما يشاهد نها »

مستحجرات ذوات الثدي .

ج ليس الكلام الوارد في كتاب مشهد الكائنات سديدًا فانّ مستحجرات ذوات

الثدي كثيرة لا يحلو منها متحف من المتاحف الجيولوجية وقد وجد منها ما يرتقي الى الطور الثالث اعني قبل ظهور الانسان على الارض . وسنعود ان شاء الله الى هذا الموضوع
س وسأل حضرة القس يوسف حبيقة البسكتاوي كيف نوفق بين قول القديس بولس (عب ٩: ٤) حيث يقول ان تابوت العهد كان يحتوي « لوي الوصايا وقط المن وعصا هارون » وبين آيات سفر الخروج (١٦: ٣٣) وسفر العدد (١٧: ١٠) والملوك الثالث (٨: ٩) والايام الثاني (٥: ١٠) التي صرحت بوجود لوي الوصايا فقط في التابوت
ما كان يحتويه تابوت العهد

ج لا يخالف ما ورد في رسالة القديس بولس الى العبرانيين عن مضمون تابوت العهد ما ورد في اسفار العهد القديم لان التابوت لم يكن في اول الامر يتضمن غير لوي الوصايا . ثم جعل فيه بعد ذلك بزمان قسط المن وعصا هارون وكانا في محل آخر من المقدس . ولنا على ذلك شاهد وهو تقليد اليهود دونه الرثيون منهم الرتي لادي بن جوسون والربي أبرنبل وكلاهما يوافق القديس بولس في قوله
س وسألنا كيف امكنا ان نقول في شرح مجاني الادب (ص ٧٤) ان الحيس الذي زاره ابراهيم بن ادم المتوفى سنة ٧٧٨ للمسيح انه هو القديس سمعان العامودي المتوفى سنة ٩٨٠ . ثم ان في روايتنا عن اعمال هذا القديس اختلافات كثيرة مع ما روى غيرنا فن اين ذلك ؟
القديس سمعان العامودي ودير سمعان

ج قد سقط من شرحنا في هذه الصفحة سطر كامل بسهولة صفاف الحروف كما نبها الى ذلك في ملحقات لنا على هذا الشرح . فأننا كننا كتبنا هكذا : « أننا نظن أن هذا الحيس [احد السمانعة الاربعة الذين اشتهروا بعيشتهم فوق العمود وكلهم قديسون واشهرهم] هو القديس سمعان . . . » فسقط السطر الذي تراه بين معكفين .
أما ما ورد من الاختلاف بين روايتنا ورواية غيرنا عن سيرة القديس سمعان العامودي الأول بخصوص سنة ميلاده وزمن عيشته على العمود وغير ذلك فانه ناجم عن اختلاف الروايات في ترجمته . ولو اردنا تدوين هذه الروايات وما فيها من الآراء المتضاربة لرأى السائل العجائب الغرائب وتحقق ان قولنا في سنة ميلاده ٣٦٠ اقرب الى الصواب . وكذلك في سني زهده واقامته على العمود اكثر من خمسة عشر رأيا (راجع اعمال البولنديين المجلد الاول ص ٢٦١ - ٢٨٦) . أما موقع دير سمعان الذي ذكره هنا القزويني وجعله في جوار دمشق فقد وصفه ياقوت في معجم البلدان (٢ : ٦٧١) وقال « ان عنده قبر عمر بن عبد العزيز » واليه استندنا رأينا
ل . ش